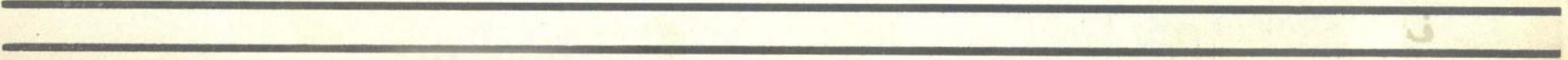
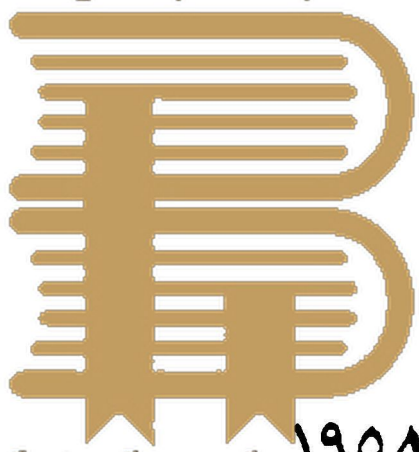


الثقافة

مجلة فكرية تصدر في دمشق





التقافة

أدبية فكرية جامعة تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

shiabooks.net
رابط بديل < mktba.net

مؤسسها ورئيس تحريرها
مدرسة حكاشي

FONDATEUR
ET REDACTEUR EN CHEF
Madhat Akkache

P.H 229984

هـ ٢٢٩٩٨٤

B.O.P. 2570

ص.ب. / ١٩٥٧

DAMAS

دمشق

المستشارون

الأسانذة :

عبدالمعين الماتوي

سعد صائب

عبدالفني العطري

عبدالكريم ناصيف

حامد حسن

نعمان عرب

محمد زهير الباشا

سهر رومي الفيصل

التحرير

فضل عفاش مصطفى النجار

أيلول ١٩٨٧

ملقويات العمد

٣	ندرة اليازجي	الانسان وابعاده الاجتماعية
١١	زكي قنصل	يا حلوة الثغر - شعر -
١٣	صادق عبد الرحيم	اساليب المعالجة التقنية في العمل القصمي .
٢٠	محمد المنصور الشقحاء	احاديث تحتفل فجأة - قصة -
٢٣	منير الجبان	من أدب الرحلات
٢٨	عبدالمعين الملوحي	مسكين الدارمي
٣٤	محمد ابو ضوفة	الشيخ كامل رجب مبروك
٣٨	فريد جحا	عمر يحيى
٤٤	خضر عكاري	سلميه - شعر -
٤٦	الياس غالي	تسمية الكوميديا الالهية
٥٣	زهير الباشا	متمردة على جدار مهترىء
٦١	لورن ايسلي	مستقبل البشرية

الانسان وأبعاده الاجتماعية

ندرة اليانصيب

مجردا ، او عضوا مجردا ، لكننا نستطيع ان نتصور عضوا شخصا ، وقد تعين في وحدة متماسكة تنم عن تفاعل الكثرة في الوحدة . وبالطريقة ذاتها ، نعجز عن تصور الفرد وهو على حدة ، يحيا في عزلة عن الاخرين ، او يوجد في حالة فردية مطلقة ، ولذا نستع ان نتصور فردا واحدا يحيا وحيدا ان مثل هذا الفرد غير موجود ، لأن قانون الوجود يحتم الكثرة في الوحدة . وان عجزنا عن تصور هذا الفرد ، فلأن الانسان لا يتمثل بالفردية . فهو عضو في كيان الانسان ، في كيان الانسانية وفي النتيجة نقول : ان بحثنا من هذا النوع لا يسمح لنا ان نطرح قضية اجتماعية الانسان كبعد بل كجوهر فاجتماعية الانسان لا تنتج عن فرديته ، بل هي تعني انسانية الانسان .

ولو اننا حاولنا ان ننظر الى الموضوع من زاوية اخلاقية بحثة لوجدنا ان فردية الانسان تنعدم ، فلو وجد فرد واحد على كوكبنا الارضي هذا ، لما كان هذا الفرد ماهية او جوهر ، ولو تساءلنا كيف يكون هذا الفرد كاذبا ام صادقا ، متكبيرا ام متواضعا ، مخبلا ام كارهيا ، لعلمنا ان هدفه او كذبه

كنت افضل ان يكون موضوع حديثي " اجتماعية الانسان " بدلا من " الانسان وأبعاده الاجتماعية " وتفضيلي هذا يعتمد سببا اصيلا هو ان اجتماعية الانسان جوهر قائم فيه . لذا ، لا يوجد بعد اجتماعي للانسان لان الانسان هو مجتمع موجود بذاته . فالاجتماعية ليست بعدا يضاف الى الانسان او حدا يضاف الى حد آخر . فالانسان ليس حدا يضاف الى حد آخر ليتصف بالاجتماعية ، انه الاجتماعية ذاتها . ومن هذه المقولة يمكننا ان نتساءل : كيف تكون اجتماعية الانسان ؟

ان سؤالا من هذا النوع يبحث في " كيف " الشيء يعرضنا لبحث الشيء في " كنه " ولو اننا تجردنا من واقعنا وحاولنا تصور الانسان في حالته المجردة او المطلقة لوجدنا باننا لا نستطيع ان نتصور الفرد المجرد بأي شكل من الاشكال . وكما يقول الكسبي كارليل في كتابه " الانسان ذلك المجهول " وهو يبحث موضوع الجسم ، كليته ووحدته ، ان القلب لا يوجد على حدة اي بمعزل عن كلية الجسم ، وان الرئتين لا توجدان على حدة ، وان الدماغ لا يوجد بشكل مستقل عن وحدة الجسم . فنحن لا نستطيع ان نتصور قلبا مجردا او دماغا

نتاج علاقة بين الانسان وذاته ،
 بينه وبين الاخر ، اي الانسان في
 وجوده الاجتماعي . فانا أكذب
 مع الاخر واصدق معه ، وهكذا
 نستنتج ان الاخلاق ذاتها لا توجد ،
 ولا تتحقق ، الا على المعيار
 الاجتماعي ، ولا تكون بعدا من
 ابعاد الفردية ، بل تكون تحقيقا
 لجوهر . اذن ، فالاخلاق مفهوم
 اجتماعي ، ولا قيمة للانسان الا
 بوجوده مع الاخر ، وليس هذا
 الوجود الا تحقيقا لجوهره الانساني
 انسانيته الانسانية . فحقيقته
 الانسان تتمثل في اجتماعيته ،
 التي هي امتداد الانسان في الاخر
 وتعمقه في ذاته .

ولو سألنا : ماذا تعني
 كلمة " الاخر " هل يمكننا ان
 نقول بأن الاخر هو امتداد الانسان
 في جوهره الاجتماعي ، وشرط تحقيق
 اجتماعيته ؟ وهل الاخر هو هذا
 البعد الذي نتحدث عنه ، وهو
 البعد الاجتماعي للانسان ؟
 أعتقد ان مثل هذا البعد
 لا يتعارض مع اجتماعية الانسان في
 هذا المجال فقط . ونفضل عدم
 تعميمه لكي لا نقع في حقل التناقض
 والتعارض . فاذا كان الاخر هو
 البعد الاجتماعي ، فلأنه الوجود
 الاخر الذي يعبر عن الصفة
 الاجتماعية الكامنة في الانسان ،
 ليس كل واحد منا آخر لآخر ؟
 واذا كنت قد جعلت من الاخر بعدا
 اجتماعيا فلأن الانسان يمكنه
 تحقيق هذا البعد او نفيه . اما
 اذا كانت اجتماعية الانسان تنبع
 من انسانيته الحقبة ، فان الاخر
 لا يكون بعدا بقدر ما يكون تحقيقا
 لوجوده هو ، ذلك ان الوجود لا
 يتحقق الا في الوحدة المتنوعة
 والمتكثرة .
 اذن ، فاجتماعية الانسان

تتعين في نطاق صغير هو الاخر ،
 اي في البعد الانساني وهو في
 حالته الاجتماعية الراهنة ، التي
 تعني القدرة على الامتداد بهذا
 الاخر . وهذا هو قانون المجتمع
 الذي يعني بظاهرة المجتمع الا
 بتحقيقه ، وتتعين هذه الاجتماعية
 ايضا بماهية الانسان ذاته ، اي
 بمعرفة معنى وجوده وتحقيق هذا
 الوجود ، وهذا هو التعين الذي
 نهدف الى اظهاره والكشف عن
 مضمونه .

ومن هذه القضية نستنتج ما
 يلي : يوجد الانسان في حالتيه
 الفردية والاجتماعية . وتكون هذه
 الفردية انعكاسا لواقع معين ،
 يتعين في الدائرة الضيقة التي
 نسميها الذات ، وهي الذات
 الصغرى التي تعبر تعبيرا مباشرا
 عن الفردية . اذن ، هنالك الفرد ،
 وهنالك الانسان - المجتمع .

والانسان الفرد يعيش مع الاخرين
 ولكنه لا يحيا معهم ، انه
 يشاركهم امورا كثيرة لكنه لا
 يحياها ، فالفردية الاجتماعية ،
 او الانسان الفرد ، ظاهرة مقلقة
 وخطيرة في الوقت ذاته ، فهي
 تعبر عن وجود الذات الصغرى التي
 تتغلغل في الانسان وتتعمق فيه
 فتجعل منه انانيا وذاتيا . فالانا
 الصغرى ، وهي تعبير عن الذات
 الصغرى ، تؤدي الى القوقعة ضمن
 فردية قاتلة ، وتكون هذه الفردية
 الاجتماعية بعدا للانسان في
 اجتماعيته ، لكنها تكون في
 الوقت ذاته اجتماعية كاذبة .

اذن ، هنالك في الانسان
 ذات صغرى وذات كبرى ، والصغرى ،
 منها تشير الى ارتداد الى ظلمات
 الانا ، المغلقة على ذاتها ،
 الكثيفة ، والتي لا تخرج من

توقعتها الا لتكسب شيئا لذاتها ، وان هي خرجت فلكي تعيش، ويكسبون هذا الخروج مظهرا كاذبا للاجتماعية فكيف نستطيع تصور هذه الذات الصغرى ، اي الانا ؟ اننا نتمثلها بالانانية . والانانية هذه تتعين في ظاهرات الفردية الاجتماعية كلها ، نذكر منها : الكبرياء ، الطمع ، الاستغلال ، الاستثمار ، الطموح الكاذب ، الطبقة ، الطائفية ، والصراع الخ . واذا تساءلنا عن المعنى الذي يقع الى ما وراء هذه الظاهرات الناتجة عن الفردية الاجتماعية ، لقلنا بأنها تعبير عن امتداد الانسان بالآخر او انعكاسه فيه بشكل سلبي كاذب او مقلوب ، فالمتكبر يعتمد بعدا اجتماعيا هو الآخر، ليتكبر عليه ، والطامع يعتمد بعدا اجتماعيا هو الآخر ، ليطمع به ، والمستغل يعتمد بعدا اجتماعيا هو الآخر ، ليطمح الى اذلاله واستعباده ، وهكذا تكون الندية الاجتماعية بعدا اجتماعيا للانسان لكنها بعد اجتماعي كاذب .

أما الذات الكبرى ، فانها تجابه الذات الصغرى ، وتعتبر عن الحقيقة الكامنة في اعماق الانسان ان ذات الانسان الكبرى هي صورة الانسان الحق ، هي الانا الحقيقية ومن هذه الانا تشتق صفة الانانية التي تقابل صفة الانانية التي تشتق من الانا بمعنى الذات الصغرى والانانية تشير الى فهم الانسان لذاته ، وتحقيق هذه الذات ، ولما كانت هذه الذات ، او هذه الانا ، لا تتحقق الا في المجتمع ، فانها تمتد في الآخرين امتدادا صحيحا ، وهكذا تكون تعبيرا صريحا لحقيقة الوجود الانساني والاجتماعية الانسانية وعلى نقيض الانانية ، اي الذات الصغرى، تكون ظاهرة الانانية

تشخيما لحقيقة الانسان . واذا كانت الكبرياء ظاهرة الانانية ، كان التواضع ظاهرة الانانية ، وبالتالي كانت المحبة والخدمة وعدم استغلال الآخر وعدم اذلاله ظاهرات حقة لمفهوم الاجتماعية الصحيحة ، فالمتواضع يعتمد بعدا اجتماعيا هو الآخر ، ليحيا معه بسلام ومحبة والمحب يعتمد بعدا اجتماعيا هو الآخر ، ليعلمه وليبني كل استغلال واستثمار واستعباد وصراع وهكذا تتحول المفاهيم والقيم ، وتظهر محبة الانسان الحق في اجتماعيته الحقة . وهي هذه العلاقة بين الانا والانانية ، ومن هذا العمق الصميمي في الاجتماعية الانسان ، نتطرق الى حقيقة جديرة بالتقدير والبحث ، هي حقيقة الحقيقة السامية .

وعند اسئالنا عن علاقتي بالحقيقة السامية اي بالكل الشامل ؟ وكيف اعبر عن هذه العلاقة في وجودي الانساني على هذا الكوكب ؟

لواستعرضنا منظومة المبادئ الاولى المكتوبة في كيان الانسان بشكل اوامر خلقية ، لوجدناها تتجه بكليتها الى الآخر فالمبادئ الاولى التي جعل منها الانسان مقياسا او معيار السلوكه ، ولعمق انسانيته ، هي تلك المبادئ التي تشير الى علاقة وثيقة بالآخر فاذا كانت هذه الاوامر قد نهت عن الكذب والسرقة والقتل والكبرياء والنميمة والغيبة وشهادة الزور الى اخره ، وامرت بالصدق والامانة والتواضع والشهادة الحقة الخ ، فلان هذه الاوامر ، وهي مبادئ بدائية وضعت للعادييين من بني البشر ليشقوا لأنفسهم طريقا في خضم هذا الوجود الراجع والمرعب ، تتجه الى الآخر، واذا

كانت هذه الاوامر قد صدرت عن ارادة الانسان في الحياة ، وطالبت الانسان بأن يحقق كيانه من خلالها فلأن تحقيق الحقيقة السامية ، بدرجات السلوك البدائية ، يكون من خلالها . ولذا تتجه هذه المبادئ الامرة الى الشمول والكل في حال تحقيق الانسان لها . واذا كانت هذه الاوامر والنواهي تجعل مني كائنا آدميا حقا في حال تحقيقها ، فلأني انسان أحقق ذاتي من خلالها .

هكذا يكون تحقيق المطلق ، انه تحقيق يتم من خلال ابعاد ثلاثة : الحقيقة السامية ، والانسان الاخر ، اي الانسانية وانا والاخر ، فكل فعل اقوم به ، وكل سلوك أتصف به ، وكل فكرة تراودني ، تتخذ لها ابعادا ثلاثة هي أنا والكل والاخر . فأنا لا اسيء الى المطلق والى نفسي والى الانسانية كلها الا باساءتي الى الاخر . فالفعل الواحد يتجه الى ذاتي ، كذات صغرى ، ان كان هذا الفعل شرا ويتجه الى الحقيقة السامية ، كذات كبرى ، والى الاخر ، وبهذا اكون قد اسأت الى نفسي والى الحقيقة السامية والى الاخر والى الانسانية قاطبة . والفعل الواحد يتوجه الى ذاتي بمعنى الانسانية ، ان كان هذا الفعل خيرا ويتجه الى الحقيقة السامية ، كذات كبرى تحققت بذاتي ، والى الاخر ومع هذا كله ، نشاهد مركزية الانا فالامتدادان الاخران ، الحقيقة السامية والاخر ، لا يتحققان الا بتحقيق مركبتي هذه ، ذلك ان الاخر والمطلق موجودان في ، ولذا فاني اسيء الى نفسي فقط ان اسأت الى الاخر والى الحقيقة السامية ، واحسن الى نفسي فقط ان احسنت الى الاخر والى

الحقيقة السامية . فانا الذي احمل الكون والوجود . الحقيقة السامية والاخر في . وهكذا تجمع القوى الكونية كلها ، الكامنة والفاعلة ، في كياني ، وهكذا تكون اجتماعيتي مركزية وجودي . لا شك ان تحقيق هذه الاجتماعية يتطلب مجالا او جوا تعمل فيه . وهذا المجال هو ما ندعوه الاخر والحقيقة السامية والمجتمع . فالمجتمع ليس بعدا بقدر ما هو حقل للتطبيق ، فلو كان بعدا لكان شيئا اخر يتميز قليلا او كثيرا ، لكنه واقع الاجتماعية . فالانسان لا يكون صالحا الا في المجتمع ، وهو حقل التطبيق . ولا يكون شيئا الا في المجتمع ، وللسبب ذاته اقول : باننا لا نستطيع ان نتصور الفرد ذلك ان الفرد غير موجود . اما المجتمع فهو موجود . والانسان مجتمع بكامله . واذا شئنا ان نذكر شيئا عن ابعاد اجتماعية الانسان لذكرنا المفاهيم الاقتصادية والسياسية والاخلاقية ، وهذه كلها تسميات لحقيقة الانسان الاجتماعية والجوهرية . فمتى ذكرت كلمة انسان ذكر معها المجتمع ، ومتى ذكرت كلمة الفرد ، ذكرت معها كلمة موت الانسان ، وفناءه .

أين أطبق مبادئتي ؟ وكيف يكون لمبادئتي معنى ؟ لا تستقيم مبادئتي الا في المجتمع ، ولا تعني حياتي شيئا الا في المجتمع . فالمجتمع او الاخر ، هو تحقيق الانسان لذاته ، وللاتسانية قاطبة . فان أحببت الاخر فلأني أحب إنسانيتي ، لكن هذه المحبة لا تتم بدون الاخر ، اذن ، ليس ثمة تحقيق الا بهذا

الآخر . ولما كان الآخر هو أنسا
نفسى بصورة اخرى، بانعكاس الآخر ،
فإن اجتماعيتى تتحقق فى ان ارى
نفسى فى الآخر ، وان احقق هذا
الآخر فى نفسى، ولما كانت مركزيتى
قائمة ، فان تحقيق الوجود كله
والانسانية كلها والحقيقة السامية
كلها يتم فى نفسى ، فى مركزية
وجودى ، وهذه المركزية قابلة
للتحول ، الى الذات الصغرى،
الى الانانية او الى الانانة، الذات
الكبرى . لذا كان التحول الاول
تحقيقا للفردية وكان التحول
الثانى تحقيقا للانانية والانسانية
ولما كانت هذه الانسانية لا تتحقق
الا فى بيئة او مجال ، هو الآخر ،
المجتمع ، كانت انسانيتى هى
اجتماعيتى ذاتها .

ان نظرة نلقيا على كتب
علم الاجتماع نتفحص ما جاء فيها،
تجعلنا ندرك تفاهة ما جاءت به
بعض النظريات التى طرحته . لى
اجتماعية الانسان على بساط البحث
فقد علمتنا هذه النظريات ان
الانسان حيوان اجتماعى ، او انه
اجتماعى بطبعه ، اما ان يكون
الانسان حيوانا اجتماعيا فامر
مردود ومرفوض ، فكيف يستطيع
الانسان ان يحاكي او يتبنى
مجتمعية الحيوان ؟ وهل يكتسب
الانسان اجتماعيته من مجتمعية
الحيوان ؟ وهل يبني مجتمعه على
غرار التجمع الحيوانى ؟ مسأله
تستحق البحث والتدقيق .

نبداً بحث هذه الفكرة فى
طرح السؤال التالى : هل يعرف
الحيوان الاجتماعى ؟
لنجيب على سؤال من هذا النوع
يجدر بنا ان نفرق بين كلمتين هنا
التجمع والاجتماع ، فى رأيى ان
التجمع هو زيادة كم الى كم ،
واضافة واحد الى واحد ، وان

الاجتماع هو زيادة كيف الى كيف ،
فالحيوانية تجمع لأن الكم يضاف
الى الكم ، الواحد يضاف الى
الواحد ، والانسانية اجتماع لأن
الكم واحد هو الانسان والآخر هو
الكيف الذى يضاف الى الكم . وفى
الانسانية نجد الكم والكيف ، وفى
الحيوانية نجد الكم فقط، وفى
هذا المجال نسأل : ماذا تعنى
اضافة الكم الى الكم واطافة الكيف
الى الكم - الكيف .

عندما يجتمع الحيوان
بالحيوان يعمل على تحقيق ذاته،
انانيته ، لا اكثر ولا اقل .
فالحيوان لا يجتمع الا بنوعه ،
وبطبيعته يرفض الاجتماع بالنوع
الآخر . فتجمع الحيوان يعنى ،
بأدى ذى بدء ، اضافة حيوان الى
حيوان من نوع واحد ، وزيادة كم
هذ النوع ، وندما يجتمع
الانسان بالانسان يعمل على تحقيق
انانته . لذا كانت اجتماعية
الانسان تحقيقا لغاية نبيلة . وما
نحن نعود مرة اخرى لنضع المسأله
بالشكل الثانى / ان تجمع الحيوان
وهو اضافة كم الى كم ، لا يشير
الى تحقيق غاية . فالحيوانات لا
تتجمع لأنها تريد ان تنشئ حضارة
او تحقق غاية معينة . لذا كان
اجتماعها تجمعا . فاطافة حيوان
الى حيوان لا ينشئ زيادة فى
الكيف ، واعنى ان هذه الاضافة
لا تؤدي الى زيادة توتر فى فاعلية
العقل والى زيادة النشاط
الحضارى الانسانى والى تقدم الوعى
والمعرفة ، والابداع ، لذا ، نرى
ان عقول الناس تكمل بعضها ،
وزيادة البشرية تؤدي الى كيف ،
الى زيادة التحريض العقلي دوما
وابدا . اما زيادة عدد الفهود
والفيلة الى مالانهاية ، فلا
ينشئ الا زيادة فى الكم .

في حديثي هذا ، ذكرت كلمة " تحقيق " مرات عديدة ، ولقد ركزت على هذه الكلمة اعتقاداً مني بأن التحقيق هو الغاية التي تنشدها كلمقولة او منظومة في هذا الكون ، فالكون ، والوجود بالقوة ، والعطالة لا تظل على حالها بل تتحول الى وجودبالفعل الى حركة وفاعلية .

ان اجتماعية الانسان قدرة فاعلة باتجاه تحقيق الانسانية والكل الشامل الكامنين في اعماقه ومع ذلك ، نتساءل اذا كان الانسان يحقق الاجتماعية .

الانسان المعاصر لا يحقق هذه الاجتماعية الا بظاهرها ، الامر الذي جعله يقع ضحية التجمع ، فمؤسساتنا كلها ، او معظمها ، اماكن للتجمع وليس للاجتماع ، ولذا نرى الانسان يساق وراء التجمع ، فالمقهى مكان للتجمع ، والنادي مكان للتجمع ، والمدرسة مكان للتجمع ، والعائلة ، او الزيادة العائلية مكان للتجمع ، والطائفة مكان للتجمع ، والطبيعة تجمع الخ في هذه الاماكن ، وفي اماكن اخرى نرى الفرد يضاف الى الفرد ، فلا امتداد هناك ولا تحقيق ، وهكذا نقضي على الاجتماعية باحلال التجمع محلها . فالتجمع مشكلة خطيرة تهدد انسانية الانسان . وتبدو هذه الخطورة بشكلين :

١- محاولة الفرد لأن يجد نفسه التي اضاعها في المجتمع ، الامر الذي يدعو الى اقامة تشكلات كاذبة ، وفي هذه التشكلات والمؤسسات يعتقد بانه قد وجد نفسه .

وفي هذه الحال تتشكل فيه الفردية التجمعية . ومن هذه الفردية التجمعية تنشأ امراض المجتمع كلها ، ونذكر منها التطبيقية

والعائلية وانواع التجمعات الاخرى التي يخلقها الانسان الاناني ليسوغ واقعه الاليم .

٢ - يزداد ضياع الانسان فسي محاولته الكاذبة هذه . وفي ضياعه يفقد الغاية التي من أجلها وجد ، وبالتالي يفقد انسانيته ، وعندئذ ، يتصرف الانسان بفرديية او بفريزة القطيع ، فهو ينتمي الى مؤسسة او طائفة ، او عائلة ، او اي تجمع كاذب اخر لأنه لا يجد حقيقته ، فلو وجدها لانتمى الى الانسانية كلها ، وفي حالته هذه ، يبحث عن ذوات تجمعية اخرى تشاركه ضياعه هذا ، فيجد نفسه اخيراً ضمن تجمع كاذب يدفعه الى التنكر له في نهاية المطاف ، وذلك عندما يكتشف عبثه ، وعندئذ يصبح القيمة الاجتماعية الحقة بالصيغة التجمعية ، فينكر قيمة وجود الانسان واجتماعيته كلها . ويعود مرة اخرى الى التوقع والفرديية - هي فرديية تجمعية - على الرغم من انه موجود مع الاخرين الذين شاركوه فردييته ، ولقد دعوت هذه الحالة بفريزة القطيع لأنها شبيهة بتجمع الحيوان فالاسد يضاف الى الاسد والثعلب يضاف الى الثعلب ، والبقرة تضاف الى البقرة . وكما يدهشني ان لا اجد فرقاً بين التجمع الحيواني المذكور وبين التجمع الطائفي او الطبقي او العائلي ، ففي الحالة الحيوانية الاولى يضاف كم الى كم وفي الحالة البشرية الثانية يضاف كم الى كم .

هكذا نلمس خطورة التجمع البشري الذي يحقق الانسان الفرد وينفي الانسان الاجتماعي .

الانسان المعاصر يعاني من نقص في اجتماعيته ومن نقص آخر في تحقيقها وتطبيقها . وقد

ساعدته بعض النظريات الاجتماعية الكاذبة في زيادة هذه العائلة .
والحق يقال ان هذه النظريات خلقت فيه نزعة التجمع الحيواني، فما هو واقع هذه النظريات ؟
أخطأت هذه النظريات لانها شبهت اجتماعية الانسان بتجمع الحيوان ، ولهذا السبب كانت هذه النظريات شبيهة بالتبليور الكاذب . ثمة حجارة شبيهة بظاهرة الحجارة الكريمة ولكنها لا تمت الى حقيقتهما بصلة . وهذا الشبه الظاهري الذي يكسب الحجارة مظهرا خارجيا يماثل الحجارة الكريمة هو ما ندعوه بالتبليور الكاذب .
ولما كانت هذه النظريات اساءت فهم الجوهر الانساني وصبغته بالصبغة الحيوانية من حيث التجمع المعيشي فقط ، فانها ادت الى اقامة مؤسسات اجتماعية كاذبة . ولما كانت هذه النظريات تلعب دورا في الوسط العالمي المعاصر ، وينادي بعضها بعالمية متبلورة كاذبة ، فان التجمع الانساني يقود الانسان الى حافة الهاوية ، واذا كنا قادرين على التمييز الدقيق بين التجمع والاجتماع ، فلسوف نكون قادرين ايضا على التمييز بين النظريات الاجتماعية الكاذبة ، وهي تجمعية التي تتصف بالتبليور الكاذب وبين النظريات الاجتماعية التي تتصف بالتبليور الصحيح ، وتكون النظريات التي تجعل من الانسانية تجمعا ، نظريات كاذبة مهددها تنوع هذه النظريات في ابعادها الاقتصادية والسياسية والدينية والاخلاقية والاجتماعية .
يكتمل موضوعنا هذا ونحن نتحدث في تجمعية الوجود المادي، وتكتمل الصورة عندما نجد فسي

الوجود المادي الغاية التي ينشدها هذا الوجود ، وكما تعلمنا العلوم الفيزيائية ، نعلم ان المادة قد مرت ، وهي تتشكل ، في امراحل نعددها : مرحلة اللاتمايز ، مرحلة التمايز ، مرحلة التكاثف ، ومرحلة التعدد والتنوع . ففي المرحلة الاولى وهي بدء الوجود الارضي المادي ، وجدت حالة اللاتمايز ، كان الكل يتألف من دقائق لطيفة جدا ، لا تخضع للقياس ولا تتعين ، ويقول علماء اذ ان المقاييس والمعايير التي نعتمدها لاتفيدنا بشيء في قياس تلك الدقائق، ولقد دعيت دقائق لانها اصغر بكثير من الذرات والجزئيات - انها كانت عناصر مكونة ، كانت مرحلة اللاتمايز متجانسة ، تعرف التناسق والانسجام وفي المرحلة الثانية وجدت حالة التمايز ، فقد بدأ التمايز ، يتشكل الجزئيات وتلاها الذرات ، فالذرات الكبرى ، فالخلايا ، فالمتعضيات ، وفي المرحلة الثالثة تكاثرت التجمعات ليسير كل تجمع الى نوعه ، الى مرحلة التعدد والتنوع .
ولو سألنا : ما الذي دفع بحالة اللاتمايز الى تشكيل الحالات الاخرى ؟ لاجبنا : ان القوة الخفية الكامنة في تلك الحالة الاولى هي التي اادت الى مثل هذا الشكل ، فهل كان هذا الشكل تجمعا ام اجتماعيا ؟ لقد كان تجمعا . كانت قدرة كل جزيء او ذرة او خلية بعد تشكلها ، تعمل على مد نصف قطرها الى الجزيء الاخر او الذرة الاخرى او الخلية الاخرى ، وبهذا بدأ التكون ، بفعل القدرة الكامنة التجمعية للمادة الاولى . يشير التنوع الى تجمع .

وهذا ما نجده حقا في الأنواع
العديدة التي انبثقت من حالة
اللاتمايز الأولى . فقد انبثقت
من تلك الحالة الأولى المنسجمة
والمتناسقة الحيوانات على
انواعها ، والطيور على انواعها ،
والنباتات على انواعها ، ومن
يتعمق كثيرا يجد ان الحياة هي
جوهر الكل واساس التشكلات .
وليست الحياة الا تلك الحالة
الأولى التي اطلقنا عليها اسم
اللاتمايز ، كانت وحده متماسكة
تحولت الى كثرة متنوعة بفعل
التجمع .

لذا نقول ان الكائنات
الدنيا ، التي تقع دون طبقة
الانسان المفكرة ، تعرف التجمع .
فالحياة لم تكتمل فيها كما
اكتملت في الانسان . ولذا نقول
بان الوعي فيها ضئيل جدا .

وللسبب ذاته نقول بان الحيوانات
والنباتات لا تصل مرحلة الاجتماع
لانها كانت واحدة في جوهرها
واساسها تمايزت الى انواع
عديدة ، فالنوع او الجنس منها
لا يعرف الا الكثرة ضمن النوع ،
وهذا هو الكم المضاف .

اما في حالة الانسان ، فلن
وجوده يشير الى معارضة حالة
المادة ، وبعكس حالة اللاتمايز
الأولى في المادة فقد عرف الجنس
البشري حالة التمايز ، اذن ،
فحالة التمايز كانت حالة الانسان
الأولية ، فقد وجدت انواع الانسان
فماذا يترتب على الانسان ؟ يترتب
على الانسان ان يعود الى حالة
اللاتمايز الأولى والانسجام
والتوافق والتناسق والوحدة ،
ووسيلته الوحيدة للعودة الى
وحدته الانسانية ، اي تحقيق هذه
الوحدة الجوهرية ، هي الوعي
الذي ينقص الحيوان ، لذا كان

الانسان اجتماعيا بفضل وعيه
ومحبته وكان الحيوان تجمعيًا
لفضالة هذا الوعي والمحبة .

واذا شئنا ان نذهب مذهب
الماديين ونربط بين حالتي المادة
والانسان ، وجعلنا التطور حلقة
واحدة لاهلقتين ، واعني تطوّر
الانسان في الطبيعة ، قلنا ما
يلي : حالة اللاتمايز وصلت في
تطورها ونموها الى حالة التمايز
والتنوع والكثرة ، الامر الذي
لا يقبل العكس ، وحالة الانسان
انطلقت من حالة التمايز والتنوع
والكثرة . لذا وجد الجنس البشري
متنوعا ، والنتيجة هي ان واجب
الانسان يقضي بان يعود الى
انسجامة الاول ، وهذا لا يتم الا
بالوعي والمحبة . وفي هذا الصدد
نقول ان المادة تنزعت ، ولكن
تلتقي في تنوعها لانها لاتعرف
الاجتماعية ، واذا التقت ففي
الانسان فقط ، وان الانسان تنوع
ولكنه يلتقي في تنوعه لانه يعرف
الاجتماعية . ولذا كان التطور
بعد ظهور الانسان اخلاقيا وعقليا
وروحيا . فالاجتماعية هي تحقيق
هذه القيم ، وننتهي الى القول
بان الكل الواحد يدخل الوجود
ليتكثر ويتنوع ومن ثم ليتجمع
في مظاهر الوجود الحيوانية
والنباتية والمادية الاخرى ، ولا
يعود الى وحدته الا في الانسان ،
فالحياة واحدة في الكل ، لكنها
تجمعية في المادة واجتماعية
في الانسان .

اذن فاجتماعية الانسان ، من خلال
وعيه ومحبه ، هي التي تؤدي به
الى تحقيق انسانيته والكل الشامل
معا . فاجتماعية الانسان هي
الوعي والمحبة .

يا حلوة الشغرة زكي قنصل

غلواء لا تضحكي من دمعي الهامي
الا عليه اهازيجي واحلامي
وكم سكرت وكم اسكرت اوهامي
الا رأيتك تختالين قدامي
طيري ، فصفت الدنيا لانغامي
وظاف يشغل احبابي واخصامي
فقاد جبريل بين الشهب اقدامي
ويا محجة آمالي و آلامي
نشوى تشارك في تقصير أيامي
ان لم يوفر مجانيه لكرام ؟
في غفلة من اذى واش ونمام
ضيفا توسد جرحي قلبنا الدامي
ظمأى تضن بسقياها على ظمام
وكدت آكلها من شوقي الظامي
اذني ويضحك من خوفي واحجامي
فاقطف وسبح باحساني وانعامي
لولا عتاب ثنائي بعد اقدام

لم يبق غيرك ينبوعا لالهامي
روحي فدى ثغرك المعسول ما رقصت
لكم ترشفت في الاوهام خمرته
الله يشهد ما وشيت قافية
جنحت باسمك انغامي وقلت لها
وزنت باسمك . شعري فازدهى طربسا
وجئت باسمك باب الوحي اطرقه
غلواء يا ملتقى وجددي وعاطفتي
لا تتركيني ظمأنا الى شفة
ماقيمة الكرم .. ماجدواه ، مايده
هل تذكرين على الفردوس سهرتنا
طرنا اليه وكان الوجد ثالثنا
يلفنا الليل في اعطاف بردته
أخذت كفك في كفي اقبلهبا
وانشقت الارض عن ابليس يهمس في
يقول هذي مجاني الحسن دانيسة
واوشك الشاعر القديس يتبعسه

يا شاعر الروح اخشى ان تكونيدي
خيبت ظني فهل تحببه ثانية
احبت روحك لم يعلق بها وضرس
احبت شعرك ايماننا و عاطفة
وقلت اهواك يا غلواء بلبسة
وقلت اهواك يا غلواء زنبقة
يا شاعر الروح مالي عنك مصطبر
لكن خلقي من الزلات يعصمني

اخفيت وجهي وذابت مهجتي حجلا
ورن صوتك كالتسبيح في اذني
فاسترجع القلب ما ضيعت من أمل

يا حلوة الثغر يسبيني بضحكته
لم يبق غيرك في دنياي انشده
كرمي لعينيك ما لاقيت من عنيت
هيهات تعظم في عيني تضحية

في جرح الشوك لا في النرجس النامي
ياليتني لم اول في ليل اوهامي
فلن اشوه هذا الحب بالسدام
فكيف امسحه اضفك احلام ؟
فهل يهيئ جناحي سهمك الرامي
فكيف تطرح في الاوحال اكمامي
وان تغامز عذالي ولوامسي
الا يقيك المهاوي خلقك السامي ؟

وانهار ما كان من نقضي و ابراهي
يمحو برأفته في الحب اجرامي
وطهرت دمة التفكير آثامي

لولاك ما خفت في الشهب اعلامي
شعري ، وتعنيه افراحي واسقامي
وما تحملت من كيد وارغام
ما دام هذا المحيا نبع الهامي

أساليب المعالجة التقنية في العمل القصصي

والروائي

صادق عبدالرحيم

من المتعارف عليه ، ان لم يكن من المسلم به ، ان القِيم التي تهمننا ، والتي تكون بذلك قابلة للمعالجة التقنية في القصة يمكن ان تقسم ، عموما ، الى ثلاثة انواع :

(١) - فكرية او ذهنية : فنحن نمتلك - او يمكن ان نصبح كذلك ، فضولا فكريا قويا حول " الحقائق " والفهم الحقيقي والاسباب الحقيقية والجدور الحقيقية والدوافع الحقيقية او حقيقة الحياة نفسها .

(٢) نوعية (كيفية) : فنحن نمتلك - او يمكن ان نصبح كذلك - رغبة قوية في رؤية نموذج او شكل ما وهو يتكامل ، او ان نمر بتجربة تطوير جديد لخاصية ما . يمكننا ان نسمي هذا الفرع " جماليا " اذا

لم يفترض ذلك ان الشكل الادبي الذي يعتمد هذا الاهتمام بالضرورة ذو قيمة جمالية أكبر من الاعمال التي تعتمد اهتمامات اخرى .

(٣) : عملية : فنحن نمتلك - او يمكن ان نصبح كذلك رغبة قوية في نجاح او اخفاق اولئك الذين نحسب او نكره ، الذين نحترم او نحترق او يمكن ان ندفع باتجاه تمنسي التغيير او خشيته ، في نوعي شخص ما ، ويمكننا ان نسمي هذا النوع " انسانيا " اذا لم يتضمن ذلك ان النوعين (١) ، (٢) اقل من انسانيين . وقد يكون التمني او الخشية لتغيير فكري في الشخصية او لتغيير في طالعها ، وقد يجد احدا هذا الجانب العملي حتى في اكثر القصص والروايات صرامة في فكريتها ، حتى لتبدو وكأنها تقع

ضمن النوع الاول كلياً . ويمكن
لرغبتنا ، ثانياً ان تكون باتجاه
تعبير في نوعية الشخصية . وقد
نجد هذا الجانب العملي حتى في
اكثر القصص والروايات " الجمالية"
نقاء في حساسيتها حتى لتبدو
وكأنها تقع ضمن النوع الثاني
كلياً .
وأخيراً فان رغبتنا قد
تكون في احداث تغيير اخلاقي في
الشخصية ، او في نصيبتها - اي ،
اننا يمكن ان ندفع ، بكل ما
اوتينا به من رغبات قوية عاصفة
واحاسيس مختزنة دافقة ، باتجاه
التمني او خشية خيارات اخلاقية
معينة ونتائجها .

الاهتمامات الفكرية :

اننا نريد باستمرار معرفة
حقيقة قضية ما ، سواء في الظروف
المادية البسيطة ، كما في معظم
روايات التشويق ، ام في الحقائق
السيكولوجية والفلسفية التي
تفسر الظروف الخارجية . وحتى
فيما يسمى بالاعمال الخالية من
الحبكة ننجذب الى امام برغبة
دافقة لاكتشاف حقيقة عالم ومعاديل
العمل القصصي او الروائي
الموضوعي .

وفي الاعمال التي تلقي بثقلها على
هذا الاهتمام ، نعرف ان العمل
القصصي او الروائي قد اكتمل
عندما نرى الصورة كاملة ، فسي
" سيد هارتا " لهرمان هسه مثلاً ،
يكمن اهتمامنا الاساسي في بحث
" سيد هارتا " عن الحقيقة حول :
كيف ينبغي للمرء ان يعيش ؟
فاذا لم نكن نعتبر مسألة : كيف
ينبغي ان يعيش الانسان ، او لم
نكن نعتبر رؤية الكاتب في هذه
المسألة ، قادرة على ان تكون

ذات قيمة ، فاننا لن نستطيع ابداً
ان نهتم كثيراً بهذه القصة او تلك
الرواية ، رغم اننا قد نستمتع
ببعض ما تقدمه من متع ثانوية .
وفي العديد من القصص والروايات
الحديثة الجادة نبحث عن اجابة
عن هذا السؤال : " ما الذي
تعنيه هذه الحيات ؟ ، وفي البعض
الآخر نبحث عن النتائج المكتملة
للموضوعة او الصورة او الرمز .
على اية حال ، يعتمد القليل
جداً من الاعمال الخيالية على
الرغبة في الكمال الفكري كلياً .
والاشكال الادبية الخالصة التي
تنتمي فعلاً الى هذا النوع من
التشويق هي المعالجات الفلسفية
التي تثير فضولنا حول قضية مهمة
والروايات البوليسية الاستنتاجية
الخالصة .
الكمال النوعي :

تعتمد معظم الاعمال الخيالية
حتى ذلك النوع الذي يبدو ذهنياً
او تعليمياً ، بمعنى انه مبني على
الاهتمامات الفكرية او التأصيلية
حسب ، تعتمد في جانب منها على
اهتمامات مختلفة تماماً عن
الفضول الفكري . انها تجعلنا
نتوق الى النوعية ، وبرغم بعض
الخصائص التي توفرها بعض الاعمال
فغالباً ما تتم مناقشتها بمصطلحات
فغالباً ما تتم مناقشتها
بمصطلحات ذهنية مثل " الحقيقة "
و " المعرفة " ولكن من الواضح
ان الاشباع الذي نحصل عليه يختلف
الى حد ما عن متعة التعلم .

(آ) السبب - النتيجة :

عندما نشاهد ابتداء سلسلة
مسببة ، فاننا نطالب ونرغب
باستشراف النتيجة - ونطالب

هذا الاهتمام بسهولة مع الاهتمامات العملية التي نتناولها ادناها ، ولكنه اهتمام نوعي لانه يعمـل مستقلا عن اهتمامنا بسعادة الانسان وفي الواقع فانه يمكن له ان يصطرع مع الاهتمامات الاخرى : يرتكب البطل جريمة على سبيل المثال - ونتوزع نحن بين تطلعنا الى حدوث النتيجة المناسبة وهي اكتشاف الجريمة ثم العقاب وبين رغبتنا العملية في سعادته .

(ب) التوقعات التقليدية :

ان القارئ المتمرس يعرف ان بداية (سوناتا) تستدعي خاتمة ، وان مرثية تبدأ بالشعر المرسل وحتى في نمط ادبي مراوغ مثل الرواية ، لا يكاد يمتلك اية تقاليد مؤسسية ، يمكن الاستفادة من هذا الاهتمام : عندما يبدأ بشيء اعتبره رواية ، فاني أتوقع ان اوصل قراءة رواية الى النهاية مالم يكن الكاتب قادرا على تغيير فكرتي عما يمكن ان تكون عليه الرواية ، مثل شتيرن . ويبعدو اننا قادرون على تقبل اي شيء تقريبا كتقليد ادبي بغض النظر على مدى خطئه اساسا . وحتى اكثر السلوكيات غرائبية ، مثل العناية اللفظية و (اليقظة الفنيغانية) فانه يمكن ان تؤدي عملا اساسيا في الاستحواذ على احساسنا بالمكانة الفنية لهذا العمل كشيء متميز عن كل الاعمال الاخرى ومتميز عن الحياة ويمكن للكتاب ان يثيروا دهشتنا ايضا بخرق التقاليد ، ولكن ذلك يحدث فقط عندما نكون الشوقيات التقليدية متوفرة ضمن جمهور معين لكي يمكن التلاعب بها . فلو ان كل شخص تبجح بأنه يخرق التقاليد

بطريقة ترتبط بالفضول المجرد بشكل غير مباشر فقط (ايما) تتورط و (تيس) تغوي ، و (هوك) يهرب ، ونحن نطالب بنتائج معينة . (١)

هذا النوع من النتيجة التي اكدتها ارسطو بقوة فسي مناقشته للحبكة قد خضعت كما رأينا الى الكثير من الاستصغار بل الاحتقار على يد النقّـاد والروائيين الحديثين ، ومع ذلك فان توقنا الى اشباع السبب هو واحد من اقوى انواع الاهتمامات المتاحة امام الكاتب . فنحن لا نعتقد بأن اسبابا معينة في الحياة تؤدي الى نتائج معينة فقط بل نعتقد بأن هذه الاسباب في الادب يجب ان تفعل ذلك . وتكون النتيجة اننا ، نحن القـراء العاديون ، لن نألوا جهـدا لمعرفة ان كانت حاجتنا قد انجزت ام لا ، حالما يصطادنا كتـب يعرف كيف يستخدم هذا الاهتمام .

ان التشويق ، من السبب الى النتيجة ، يرتبط بالطبع ارتباطا وثيقا بالفضول من جانب الاهتمام الذهني . فنحن نعرف ان اي اشباع لتوقعاتنا سيكون مختلفا عنها ونحن متشوقون لمعرفة هـذا الاختلاف . ان جميع الاعمال الجيدة تفاجئنا وهي تفعل ذلك بأن تضع امامنا نماذج مقنعة من (السبب - النتيجة) ، تلك التي كانت محط استصغار في السابق . اننا نتوقع ان تحدث كارثة بسبب غضب " آخيل " ولكننا لا نتوقع ان يلعب الكرم مع " بريام " دورا - حاسما في تلك الكارثة ، وحتى عندما تحدث فانه يمكن ان تعد نتيجة مناسبة لاسباب اخرى تكمن في طبيعة " آخيل " وظروفه . ومن جانب اخر يمكن خلط

لما بقي هناك شيء يخرق ، وكلمما كانت التقليد اقل كانت الدهشة اقل ايضا .

(ج) الاشكال التجريدية :

يبدو ان خلف كل تقليد يكمن نظام اكثر عمومية من الرغبات واشباعها مما يخدمه ذلك التقليد اما التوازن والتماثل والذروة والتكرار والتعارض والمقارنة فهي انظمة مستقاة من تجربتنا وهي في الحقيقة ما يحاكيه كل تقليد ناجح . كما ان التقليد الذي يظل يبهجنا ، وعندما يفرز الزمن ، اي زمن ، ادواته وطرائقه ونظواهره ، فهو تقليد مبني على أنظمة من ردود فعل تكمن في صميم اعماقنا . ونلاحظ ان :
" التقليعات " في الشكل الشعري مثلا ، تجيء وتذهب ، ولكن الوزن والقافية وسواهما من الادوات الموسيقية في الشعر لا يمكن ان تفقد اهميتها . ومع استسلام الشعر ، ومع عدم وجود اتفاق تقليدي من اي نوع حول ماهية الاسلوب النثري السردى الجيد ، فقد اضطر كتاب الاعمال السردية الاكثر طولا على شغل انفسهم بالسعي الدؤوب وراء طرق جديدة لاعطاء جسم للاشكال التجريدية .

(د) الخصائص الموعودة :

اضافة الى الخصائص التي ذكرناها والشائعة في العديد من الاعمال ، يعدنا كل عمل في صفحاته الاولى بالمزيد من خزين الخصائص المميزة المعروفة على تلك الصفحات وسواء كانت تلك الخصائص اسلوبية غريبة ام تألقا رمزيا ام نوعا اصيلا من الحذق ، ام تألقا

فريدا ، ام سخرية ، ام غموضا ، ام صورة عن الواقع ، ام عمقا ، ام تصورا مقنعا لشخصية - فسي جميع هذه الحالات هناك وعد ضمنى بوجود المزيد فيما يلي من الصفحات .

ان اهتمامنا بهذه الخصائص قد يكون جامدا ؟ فنحن لا نأمل ان نجد تغييرا في خاصية ما وانما نتقدم ببساطة ساعين وراء المزيد منها نفسها .

ان بعض الاعمال الجيدة يلقي بثقله على هذا النوع من الاهتمام (مقالات مونتين) وتشريح الكآبة لبرتون ، ومجموعات الحوارات والطرائف والقصص والروايات الحديثة ذات الاساليب التجريبية مثل " ملانستيا " لغرترود شتاين) وقد اعتمدت القصص والروايات الواقعية والطبيعية في العديد منها ، التي كانت مشهورة يوما وباتت مضجرة الان ، اعتمدت باكثر مما ينبغي على الاغراء المشوق كما كان يسمى غالبا " الحقيقة " وقد افتتن العديد من القراء عندما قرأوا ، اول مرة رواية تعالج بالاسلوب الواضح الجديد أية موضوعة جديدة ، سواء كانت الواقع الاجتماعى للدعارة ام احياء الفقراء ام سوق القمح ام الواقع النفسى لشخص امريكى مضطرب نفسيا - افتتنوا بالاحساس الجديد بالواقع .

دعك عن اغراء الحقائق كمعلومات مجردة ، فلم تكن هناك حاجة الا للقليل من اجل حمل القارىء على اكمال الرواية . ولكن حالما أصبحت هذه الخاصة شائعة اضمحل سحرها . اما الان ومع معرفة معظم الكتاب " التجاريين " بكيفية تصوير الحقائق المادية ، مثلا ، وبدرجة من الوضوح حرية بأن

تمنحهم شهرة واسعة في فترة ما فلم تعد قادرة على البقاء سوى تلك القصص والروايات التي تقدم اكثر من الحقيقة المادية .

ان الخطر نفسه يهدد الاهتمام بأي " تكتيك " حتى عندما تستخدم الخطوة الاكثر امتاعا في " التكتيك " لتطويع الخاصة نحو الافضل . مثلا ، عند متابعة الاستكشافات الرائجة لهنري جيمس فيما يمكن ان يفعله " الانشاء للرواية " ، كان من السهل جدا ان نعتقد ان اهتمام القارئ بـ " التكتيك " يمكن ان يعوض تماما عن الاهتمامات الاخرى . بدلا من ان يكون مجرد عامل مساعد في افضل حالاته وتخريبا مدمرا في بعضها .

وقد كتبت بعض القصص والروايات التي تشجع هذا الاهتمام عندما كتب هنري جيمس واحد عشر زميلا له " العائلة كلها : رواية بقلم اثني عشر مؤلفا " ١٩٠٨ كتب كل مؤلف فصلا ، واستخدم في كل فصل وجهة نظر مختلفة لالقاء ضوء مختلف على الاحداث لم يكن باستطاعة اي قارئ ان يقرأ او اهتمامه بوجهة النظر اكثر من اهتمامه بما تكشفه تلك "الوجهة" اتساءل ما الذي سيفعله هنري جيمس في فصله " ولكن ، حتى مع كل هذا التشويق ، فان الاهتمام بـ " التكتيك " لوحده ، حري بأن يثبت هشاشته .

الاهتمامات العملية :

لو تأملنا مليا ردود افعالنا على معظم القصص والروايات العظيمة لاكتشفنا باننا نشعر باهتمام قوي بالشخصيات كبشر . نهتم بحسن طالعهم او

سوءه . وفي معظم الاعمال ذات الاهمية ندفع باتجاه الاعجاب بشخصية مركزية واحدة في الاقل او احتقارها ، حبها او كرهها . كما ان اهتمامنا بالقراءة من صفحة الى اخرى لا ينفصل عن اندماجنا العاطفي ، وكذلك هو الامر مع احكامنا على الكتاب ككل بعد ادارته في الذهن . اننا نهتم ، ونهتم عميقا براسكولينكوف وايماء ، وبالاب غوريو ودوروثي بروك ومهما حدث لهم ، نتمنى لهم كل خير . وصحيح بالطبع ان رغباتنا المتعلقة بمصائر شخصيات خيالية كهذه تتباين بشكل ملحوظ عن رغباتنا في الحياة الحقيقية فقد نقبل بدمار امرىء نحبه في عمل ادبي اذا كان دماره مطلوبا لاشباع اهتمامنا ، وقد نستمتع بمزيج من الامل والخوف قد يكون في الحياة الحقيقية غير محتمل ، كما ان الدمار او الخلاص مستشعر بطريقة مشابهة تماما للمشاعر التي تسببها احداث كهذه في الحياة الحقيقية .

ان اية صفة ، عقلية كانت او فيزيولوجية او اخلاقية ، تجعلني في الحياة الحقيقية احب احدهم او اكرهه ، تفعل الفعل نفسه في القصة او الرواية ، غير ان هناك فرقا كبيرا ، فما دمننا في موقف لا يعيدنا او يوذينا على يد الشخصية الروائية فان احكامنا تكون محايدة ، وحتى غير مسؤولة بمعنى ما ، ويمكن ان ينجذب اهتمامنا ببساطة ، الى شخصيات قد تكون غير محتملة كمعارف (رفاق) في الحياة الحقيقية . ولكن تظل هناك حقيقة ثابتة وهي ان ما أسميه اهتمامات عملية ، وبالذات الخصائص الاخلاقية التي تفرزها خيارات الشخصيات او كما

يضعها الكاتب مباشرة ، كانت دائما اساسا مهما للشكل الادبي . ان اهتمامنا بمصير اوديب و " لير " ب " دافيد كوبرفيلد " و " كنتين كومبس " ينبع في جزء منه من قناعاتنا بأنهم أناس جديرون بالاهتمام ، أناس يهتمنا مصيرهم ليس فقط لمعناه او نوعيته وانما لأننا نهتم بهم ك بشر .
قد يقول " اورتيفا " ان اهتمامات كهذه ليست اساسا ضروريا ببساطة : بل هي شيء غير نقي من اجل جعل التأمل ممكنا ولكنه لا يحمل اية قيمة جمالية وانما قيمته منعكسة او ثانوية فحسب " ، في العديد من اعمال الطراز الاول تقبع هذه الاهتمامات في القلب من تجربتنا ، قد نرفض مباركتها عندما يحاول كاتب ما ان يتلاعب بنا علنا او ابتذالا مع التفضل بشيء من الطيبة او التآلق الفكري او الجمال او اللطف .

اننا جميعا نستخدم صفات من " ميلودرامي " ضد اساءات من هذا النوع . ولكن هذا لا يعني ان الاهتمامات الانسانية بذاتها رخيصة ، صحيح ان اندماجنا بمصير راسكولينكوف لا يختلف في نوعه عن الاندماج المطلوب في اكثر الروايات عاطفية . ولكننا في الاعمال العظيمة نسلم عواطفنا لاسباب لاتجعلنا نادمين او عازمين على التراجع بعد ان تنتهي فورة الانفعال .

وقد كان افضل هذه المواقف دائما منظر امرىء طيب يواجه خيارا اخلاقيا مهما . ان تجاهلنا الحالي بعبارات اخلاقية مثل " انسان طيب " و " انسان شرير " يعتبر من سوء حظنا اذا قادننا انى تناسي الدور الذي يلعبه

الحكم الاخلاقي في معظم قراءاتنا المهمة . هناك قصة عن محلل نفسي كان ينصت صابرا وبلا تقييم الى مريضة وهو يكشف عن نفسيته الاجرامية - حتى اكتفى المحلل فجأة ، وحينما كان المريضة يغادره ، باحساس غريب بالاشمئزاز فعلينا ان نتلافى مصطلحات مثل " اخلاقي " و " طيب " وبرغم " الكورس " المتعاضم ضد النسبية ، ما زال الكثيرون يحاولون - اننا لا نستطيع ان نتلافى الحكم على شخصيات نعرفها كشخصيات محبوبة اخلاقيا او محتقرة اكثر مما نستطيع ان نتلافى الاحكام على قدراتنا الفكرية : قد نقول لانفسنا اننا لا نلعن الغباء او الفساد ، ولكننا نعتقد مع ذلك بأن المرء ينبغي له الا يكون غيبا او فاسدا . وقد نبرر سلوك الشرير بارجاعه الى بيئته ، ولكن حتى التبرير هو اعتراف بأن هناك شيئا يحتاج الى عذر . في الواقع كان الانحسار في الاحكام الاخلاقية اقل مما يبدو ، بسبب الانعطاف ، في القصة او الرواية الحديثة ، نحو تسميات جديدة للخير والشر فالادب الحديث في الحقيقة مليء بأشرار " فاضلين " تقليديين ، منجرفين مصيريا بخضوعهم الاعمى لمبادئ غير شائعة ، او تعصبهم للخير الحقيقي ولكن غير التقليدي (المبشرون عند " موم " في قصة " مطر " و " الامريكي الهادىء عند " غرين ") . ولعلنا نجد نموذجا لذلك في " الانسة واتسن في " هكلبري فين " (مارك توين) فالانسة واتسن عقدت عزمها على " العيش هكذا حتى تبلغ مكان الخير " . ومن السهل على الكاتب ان يجعلنا نتفق على ذلك مع " هوك " الذى قال " لم استطع ان

اجد اية فائدة في المضي الى حيث كانت تمضي ، فقررت الا احاول ذلك ولكن قليلين هم الذين ارتكبوا خطأ تصور ان هوك قد تخلى عن الفضيلة بتخليه عن فكرة الانسة واتسون عنها .

ان الكثيرين مما قد يبدو جماليا او فكريا خالصا فسي الشخصية قد يكون في الواقع بعدا اخلاقيا قوى التأثير رغم ان القارئ والكاتب معا لا يعترفان بذلك ابدا . فقديبدو جيمس جويس لا اخلاقيا بكل وضوح عند مقارنته بديكنز ، فاهتمامات جويس المعلنة كانت دائما بقضايا الحقيقة والجمال ولا تخطر الاحكام الاخلاقية التقليدية في كتبه ابدا اللهم الا سخرية ومع ذلك فان القوة الكبرى في " صورة الفنان شابا " تعتمد اساسا على خاصية اخلاقية في اكتشاف " ستيفن " لملكته الفنية وعزمه على المضي ورائها وكان تنكره للاخلاقية التقليدية - رفضه دخول الكهنوت ، رفضه للجماعة ، قراره بأن يكون منفيا في الحقيقة مؤشرا على سمو جمالي اي : اخلاقيا راقيا ، لم يكن

لجويس ان يطلق عليه " ولدا طيبا " ، رغم ان جويس الاكبر سنا والاكثر خبرة كان مستعدا فيما بعد لوصف " بلوم " بـ " رجل طيب و " رجل كامل " اما بالنسبة لنا فان " ستيفن " ، في جانب منه ، ولد طيب ، كان اصراره على رؤيته حازما ، وكان يمضي نحو فردوس جويس . وقد - نتظاهرو باننا نقرأ جويس بموضوعية وبلا حيادية ، وبغير اندماج عاطفي في الرواية الفكتورية ، ولكن معظمتنا لن يغادر الصفحة الاولى اذا كانت الرواية مجرد تصوير للحساسية الجمالية وهي تتلقى الاشراف الجويسية .

حاشية

- (١) ايما " رواية لجين اوستن و " تس " رواية لتوماس هاردي ، وهوك هكلبري فين (في رواية لمارك توين .
- (٢) تعتمد هذه الدراسة على افكار واطروحات للناقد واين بوث .

أحماوية تحتفل فيجاءة

قصة: محمد المنصور السقماو

- أ -

بين مغيب الشمس ومشرقها مسافة في الامكان اجتيازها، هكذا قرر عندها طلب من خدامه أن يقوم بتجهيز حصانه لبدء رحلة قطع هذه المسافة ويتمكن بعدها من الفوز بقلب أجمل فتیان الحی .

مع انبثاق نور الصباح وعلى صوت صياح الديكة وثغاء الضأن نهض نافع من فراشة وتلفع بغترته ثم تفقد مسدسه المشدود الى وسطه وأمام باب الخدر تمطى قليلاً وهو يتشاءب ثم انحنى لحمل زوادته .

الطريق طويل، قرر أن تكون البداية المكان الذي تشرق منه الشمس ثم يأخذ في السير معها حتى يعرف أين تختفي ثم رفع عقيرته بالغناء كما هي عادته عندما ينطلق الى الصيد أو في رحلة طويلة بعيداً عن مضارب الأهل والعشيرة .

لم يكن يدري بهذه الرحلة أحد إذ لم يأمن على سره حتى خادمه عبادة الذي يأتمنه على حياته لم يبع له بوجهته وان همس في إذنه (سوف أجلب طلب أغلى الحلوات) ردد عبادة هذه العبارة بعد ثلاثة أيام من الرحيل وهو يداعب وجنتي سمر في الرجم الذي اعتاد سيده الجلوس فيه عندما تثور به الهواجس .

وفي العودة لمح بنت خال سيده أمام القليب تحاول رفع قربتها، اقترب منها وساعدها على حمل قربتها، أحس بأنفاسها تحرق أطرافه وهو يثب رباط القربة على مقدمة رأسها وأخذ يتأملها (حلوة الحلوين) تذكر قول سيده انها هل تكون عفراء هي أغلى الحلوات ربها وأخذ يتأملها وهي متجهة الى مضارب الحی . .

ان (أغلى الحلوات) مجهولة بالنسبة لعبادة الذي أخذن يتواردن عليه كثيراً من فتیان الحی في الرجم أو في المقلی أو أمام القليب يسألونه عن سيده إذا احتار في الإجابة، انها أخذت الأمانی والأحلام تجول في داخله وقد غدا ملجأ الجميع . يتربح عودة الغائب فأخذ يشعر بمكانته متذكراً أنه لم يعد الخادم الذي يؤمر فيطاع انها هو الآن الأمر الناهي في حلال سيده وبيته فأخذت أموره تتحسن واحواله تتبدل فقام باستئجار بعض الرعاة لرعي الغنم واستحضر خادماً لعمل القهوة وتلبية طلبات أم سيده العمياء التي لم تشك لحظة في أمانته ووفائه لابنها لمعرفة ما بينهم من حكايات وقصص .

أخذت عفراء تتردد على الخباء لخدمة عمتها العجوز فلم يهتم أحد بجلوسها الى ساعة متأخرة من الليل وانما لاحظت ذلك صديقتها ميثة فأخذت تشاركها السهر بينما عبادة يتجول بين المضارب أو في الصحراء، وبعد أن لاحظ الفتاتين أخذ يعود للخباء في أوقات متقدمة محاولاً المشاركة في السمر . نهرته سيده فأخذ يتلصص من (الشق) وقد اطرب هذا التصرف الفتاتين فكنّ يداعبه بافشاء سره .

مرت أعوام على نافع الذي أخذت الركبان تتناقل قصة رجيله بشكل مخالف للحقيقة كما منحت المسافر بركات وأعمالاً خارقة للطبيعة أخذ يرويها الشعار ومن يمر بمضارب البادية مما زرع الرعب في قلب عبادة الذي استطاع أن يتخلص من كل تبعية لسيده بعد زواجه من إحدى بنات الحی وهو يردد في داخله انها (أغلى الحلوات) وفرض على سيده التي أقعدها المرض الانتقال

الى مسكن أخيها مع ايها الجميع بأنه سوف يحمي الحلال .
نزع عبادة عن الديار . . رحل مع زوجته وكل ما يمتلكه
سيده واختفى عن العيون مختاراً اسماً جديداً وقبيلة جديدة . . انها لم
يتمكن أحد من العثور على أثر له رغم المحاولات المضنية وأعلن
بين القبائل عن سرقة لخلال سيده وغدره بمن عطف عليه واعتبره
من أهل بيته .

• • •

- ب -

كما يتناقله الركبان أنه يوجد رجل صالح في بيت من الشعر
النادر يقيم في طرف الصحراء بشكل عجيب من حيث الموقع
والرجل الذي كل ما يعرف عنه الناس أنه رجل صالح قرر البقاء
بعيداً عن الناس وكان بداية اتصالهم به مرض سرى بين القبائل
فجأة فأخذ كل بيت يشد رحاله ويتيه في الصحراء على وجهه خوفاً
من العدوى، وحرصاً على أهل بيته من النبذ اذا علمت الجماعة
بأنه يوجد بينهم مريض .

احدى هذه الأسر التائهة على وجهها لمحت مع بزوغ
الشمس فرساً يركض في وجه الشمس لم يهتم احد . لك انما كلما
تربعت الشمس في كبد السماء وضع موقع الخباء الذي لم يكن به
أحد حين اقترابهم وفجأة اذ بالفارس يعود وقد تصبب العرق من
الحصان ومنه فرحب به ودعاهم للاستراحة ولكن لظرف المرض
امتنع الركب عن الضيافة شارحين الأسباب وهنا أمرهم بالنزول
وضرب مخيمهم بجوار مخيمه لأن عنده الدواء الشافي للمرض .
وهكذا تكون حي جديد في طرف الصحراء ومن خلال العلاقات
المتباينة بين المنازل اعتبر الجميع صالحاً الذي اكتفى بهذا الاسم هو
شيخهم بحكم قيامه بمعالجة الجميع وشفاء ابنائهم على يده . .
ورغم تساؤلهم عن انتائه ولماذا هم مقيم لوحده وهل أحد يطالبه
بدم أو ثأر أو أن جماعته أهدرت دمه بجرم شنيع انما الأمر الذي
لاحظه الجميع أنه قبل بزوغ الشمس يركب فرسه ويأخذ طريقه
الى قلب الصحراء ويلمحه في بعض الأحيان الرعيان وهو يعود
مسابقاً الريح في سباق أزلي مع شيء مجهول لا يدري الجميع كنهه ،
فكان سؤال يلوب في الأذهان وفي ليلة عرس تربع القمر في كبد
السماء أخذ السمار حول النار يرددون . . الأهازيج ويتبادلون
الأحاديث بينما كان عازف الربابة بين لحظة وأخرى يداعب أوتار
معبودته فيرتفع صوته متجاوزاً الفضاء في حوار أزلي مع الكون تربع

صالح وسط كبار الضيوف أخذ يتلفت متفحصاً الجميع كأنه يبحث
عن فقيد ثم لمعت عيناه ببريق عجيب وهو يستمع الى آخر أبيات
المغني الذي صمت فجأة وقد انحدرت من مقلتيه دموع أخذ
يمسحها بطرف أنامله مدارياً وجهه عن الجميع وهنا ارتفع صوت
صالح :

سافر متجهاً الى مشرق الشمس من أجل ان يسابقها ليصل
قبلها الى المكان الذي تختفي فيه كل مسار من أجل عيون معشوقته
امتطى فرسه مخلفاً وراءه الجميع ، اتجه الى الصحراء مخترقاً طرقاً لم
يطرقها أحد قبله وفي ثالث يوم بان عليه الارهاق والتعب رغم أن
الطعام متوفر والماء كأنه لم يمسه شيء منذ غادر جماعته ، الشمس
كانت قوية وهجها يثير الدوار والصحراء لا ترحم أحداً خاصة اذا
كان وحيداً انما قاومها بارادته في الوصول الى هدفه مهما كانت
الصعاب وأخذ شيئاً أسود يقترب من بعيد لا يدري هل كان هذا
الشيء متحركاً أم أن فرسه أخذت اليه كل ما في الأمر أن الارهاق
أثر عليه فلم يعد يشعر بشيء مما حوله إذ أغمي عليه وأخذت
الفرس طريقها الى شيء معلوم وكأنها تستمع الى ارشاداته . كل ما
يدرك . أنه سمع صوت ج . . وميض صوت امرأة تردد غريب . .
غريب . هذا كل ما يدركه حتى فتح عينيه فلم يجد حوله أحداً انما
كان رأسه متوسداً زوادته وفرسه يقف امامه . أحس بهواء لطيف
فأخذ يجيل نظره حوله فاذا به داخل مغارة رطبة هواؤها منعش
وامامه كسر من الخبز ودورق ماء ، انما لا يوجد جنس مخلوق . فزمن
مكانه وأخذ يتجول واذا بصوت امرأة يعبر فراغ المغارة يقول :
- أنت رجل محظوظ . . أنت رجل محظوظ لا تعمل أمراً
يفقدك هذه الميزة . .

تكرر القول أكثر من مرة انما شعر بأنه انسان جديد لم يعد
يتذكر شيئاً من ماضي أيامه سوى أنه قرر معرفة أين تغرب الشمس
ومن أين تشرق . وركب فرسه مع الصبح وأخذ طريقه نحو هدفه .
وهنا تقافز الشباب حول النار لا تارة حماس الحضور للمشاركة
في الرقص عندما أطل العريس في أبهى حلة فلم يعد أحد يهتم ببقية
القصة ونهض صالح يتقدم الجميع مرحباً بالعريس وأخذ سيفه
متهايلاً وسط الجميع . .

• • •

- ج -

أحس عبادة بالوهن وفور عام في جسمه زادته وساوس زوجته
التي لم تنجب مطالبة بأن يقوما بزيارة الرجل الصالح الذي تناقلت

الركبان علاجه الشافي واتصاله بالجن لفك العين وطلاسم النحس فعزم على الرحيل الى مضاربه لكن الخوف أن يلتقي بأحد هناك من جماعته ، كان هاجس يقلقه فلم يفتح زوجته بذلك لعدم علمها بقيامه بفعلته الشنعاء حيث اوهمها أنه شريك في الأموال وانه يحتفظ بحقوق صاحبه حتى يظهر وأن هجره لجماعته انها هو حتى يتوسط أحياء العرب لعله يصل الى معرفة مصير رفيقه الذي اختفى منذ زمن طويل . .

كل هذه الهواجس كانت حاسراً تدعوه الى التمهل انها رغبته في مولود يحمل اسمه دفعت ذات صباح الى مطالبة الرعيان بالرحيل .

وأقام له سكناً في مكان ناء عن المساكن ، وبعد أن ارتاح من السفر وبعد غروب الشمس تلفع بعباءته واتجه الى خيمة الشيخ الذي لم يكن موجوداً كما هي العادة وجلس مع الجالسين يتبادل الحديث معرفاً بنفسه بعد أن لاحظ الجميع أنه غريب .

واذا بصوت واهن لامرأة عجوز تنوكاً على عصا غليظة يقودها صبي أشعث يقترب مع ظلها الذي تجاوز المكان طولاً ، نهض أحدهم واستقبلها أمام باب المخيم وأخذ يسألها عن طلبها محاولاً مساعدتها بعيداً عن سمع وعيون الآخرين بينما وقع خطوات حصان تقترب توقفت بجوار المخيم وبينما العجوز تهم بالعودة من حيث جاءت قابلها شبح رجل يقترب فصرخت :

- نافع . . نافع

ووقعت على الأرض . انحنى صالح فوقها وأخذ يحس نبضها بينما يسأل الواقفين عنها ومن أين قدمت ، ثم ألقى بعباءته فوقها مشيراً الى أنها فارقت الحياة ثم طلب من اجمع العودة الى أماكنهم وطلب من الخدم حملها الى أحد البيوت للاعتناء بها وتجهيزها للدفن .

أفسح الجميع له مكاناً بينهم وعادوا الى تبادل الحديث ، وبينما هو يتأمل وجه العجوز الذي لم يفارقه منذ أن لمحها تلفظ أنفاسها . . ونداء «نافع» . . . «نافع» يتردد في داخله ثم أخذ يركز نظراته على عبادة الذي لم يتفوه بكلمة منذ جلس ولم يمط اللثام عن وجهه .

- أهلاً بضيفنا . .

- أهلاً . .

ثم أماط عبادة اللثام عن وجهه بعد أن تأكد أنه لا يعرف أحد من الحاضرين وأخذ يسرد شكواه ويعرف بالديرة التي قدم منها وهو منكس الرأس . .

- طلبك متيسر يا عبادة . . وأنت اليوم ضيفنا .

فز عبادة من مكانه ورفع رأسه وأخذ يتأمل الشيخ . . تلفت حوله ثم غادر المكان دون إذن وأمام قبر الميتة بعد أن تم الصلاة عليها فتح صالح الغطاء عن وجهها ثم قبل جبينها ورفع رأسه متأملاً من حوله ثم أعاد الكفن كما كان وواراها التراب واتجه الى فرسه وغادر الجمع الذي أخذ يتلاشى في الطرقات .

من أدب الرحلات منير إبحان

في رومانيا
من "مامايا" الى "براشوف"
لوحة تجمع الغابة والشاطئ
بالوان قوس قزح

العالم ، بهذه الدنيا وقد كان لها ان تكون كبيرة ، فجعلوها صغيرة واجزاء متباعدة متناشرة وحدودا وقيودا .. فتفرح وتفرح كثيرا ان تتاح لك وانت في "كابين الطائرة" في السماء ما يتتاح لك وانت على الارض ..

وفي بخارست كما في كل مدن مدينة اخرى في رومانيا تحس ان هذا البلد يريد فعلا ان يبني حضارة ومجدا ، وكأني سابق الزمن ليعوض بعض ما فات ، وكل شيء عنده ، يتيح له ان يتقدم بخطى واثقة فبلوغ الهدف حين تكون الثقة بالنفس شديدة وكبيرة يصبح مؤكدا ، وحين يعرف كل واحد دوره في رسم صورة المستقبل يساهم بكل عزم وتصميم في بناء مؤسساته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ويعطيها اكثر مما يأخذ منها ، وهناك زمن يجب ان يكون العطاء فيه اكبر ، وهو زمن التضحية الى ان يحين زمن يكون فيه الاخذ مجزيا

لكل رحلة في الذاكرة مساحة تستوعب كل ما يملأ العقل والفكر والقلب والعاطفة ، والزج ان من احساس وانفعالات ، ويحلوكثيرا لنا ان نعود اليها في اوقات تتقارب او تتباعد ، فتصبح سعادتنا بها اكبر ، لان شريط الذكريات وهو يعيد الينا مشاهد يختزنها اللاشعور ، يتيح لنا ان نعيشها مرة جديدة ..

هكذا يحس المسافر وهو في طائرة تحلق في السماء العالية ، فلا حدود ولا قيود .. تعبر بلدا بعد بلد .. لا سوال ولا جواب ولولا قائد الطائرة يعرفك انك الان فوق هذا البلد ، وبعده فوق ذاك ، لا تلمح الا خطوطا بنيسة او خضراء او زرقاء ، من جبال او سهول او بحار .. لولا قائد الطائرة يعرفك وينبهك وانت تنظر من نافذة صغيرة في الطائرة ، فتشعر بأكثر الاحساس عمقا واصالة ، تربطك بهذه الارض ، بهذا

والمردود مغربا ، ولكن بدون هذا العطاء ، لن يكون هناك اخذ ، والذين يعطون ، الذين يبنون ، يشعرون بلذة العطاء ، وما اجمل ان يكون الحاضر منارة ترسم صورة المستقبل ..

واحد هذه الجوانب التي تعتر بها تلك البلاد .. هي استقبالها لملايين الزوار والسياح من مختلف انحاء العالم يستمتعون بطبيعة ساحرة توفرت لها كل الوان الجمال فكأنها الوان قوس قزح تستيقظ من سماء صافية زرقاء لتغفو في زرقة بحر هادئ مياهاه تمسح عرق الشمس عن شواطئ ممشوقة كأنها اللانهاية ، ولقد اصبحت تلك الشواطئ التي تمتد مسافة ٢٤٥ كيلو مترا على البحر الاسود مواجهة الشرق شواطئ ينعم فيها السائح بمتعة تتيحها له رمال دافئة فالشمس تسطع ١٢ ساعة في اليوم ولكل شخص ما يقارب العشرة امتار مربعة من الرمال ، مساحة مريحة لا ازدحام فيها ، ميزة لا تجدها في كثير من شواطئ العالم بل ان عدم وجود الاحجار والصخور البحرية تجعل الانحدار من الشاطئ الى البحر مناسبا ، لسباحة الاطفال ، بعيدا عن اية مخاطر ، والبحر هنا قليل الملوحة غير ملوث ، لا تتواجد فيه اسماك خطيرة والشواطئ جاف انتشرت عليه مراكز سياحية متطورة وحديثة ، وكأنها عقد من اللؤلؤ . مامايا وغيرها سلسلة من المواقع السياحية التي توفرت فيها كل انواع واشكال الخدمات لتستوعب اكثر من ١٥٠ الف سائح في فنادقها وفيلاتها ، ومخيماتها يبدو فيها الابداع المعماري الحديث وقد اجتمعت فيها الطبيعة الفاتنة مع منجزات الانسان التي ارتقت

الى مستوى متقدم من الابداع فمن واحات للريضة الى المطاعم الفولكلورية التي تمتع الزائر بلوحات الفن الشعبي العريق الى المسارح الاثرية والحديثة والوبرا والباليه ومعارض الفنون والرسم ويساعد السائح برامج اذاعية خاصة يومية بخمس لغات تقدم دليلا صوتيا عن كل البرامج الفنية والثقافية والترفيهية على الشاطئ ، ولمن يريد العلاج فهنا يجد الطين البحري وعلى مسدات السنة ، مادة سحرية تفيد في علاج الكثير من الامراض الى جانب المياه المعدنية في مراكز صحية سياحية خاصة دافئة في الشتاء تستوعب الاف الاشخاص جاؤوا يتداونون بما توفره الطبيعة من علاج لاوجاع ، ويبدو ان في هذا الطين البحري والمياه المعدنية ما يفيد في شفائها ، والسياحة العلاجية في رومانيا تحتل مرتبة عالية وتوفرت لها امكانيات متميزة ففي اراضيها اكثر من ثلث المياه المعدنية في اوروبا كلها وبمواصفات علاجية مؤكدة ، ومثلها كذلك ينابيع المياه الحارة والطين العلاجي ، والعلاج الطبيعي في رومانيا ليس امرا جديدا فهو يعود الى اكثر من الفي عام . وجاءت المدرسة الطبية الرومانية الحديثة لترتكز الاهتمام على العلاج الطبيعي مستفيدة بما في ارضها ومائها وهوائها من مميزات فكان ان برر فريق من كبار الاختصاصيين في العلاج الطبيعي صارت لهم شهرة عالمية مثل الطبيعة العالمية الدكتورة آنا اعلان كما صار هناك منتجات طبيعية مستخرجة من الطبيعة وطرق خاصة بالعلاج الطبيعي يطبقها الاطباء الرومان . وكل هذه الامكانيات صارت هي ايضا

في خدمة السياح الاتيين من مختلف انحاء العالم طلبا لهذا العلاج الطبيعي الذي اعطته الطبيعة فطوره المختصون بالطب والسياحة الى سياحة علاجية والمراكز العلاجية السياحية عديدة وكثيرة، ينبتون ، مانغاليا ، فيليكس ، هيركولين ، سلانيك مولدوفسكا ، اضافة الى المراكز المختصة في بوخارست بالعلاج الطبيعي مثل فلورا واتو بينسي .

والمراكز السياحية العلاجية ، تضمنها فنادق حديثة ويعمل فيها مختصون من اطباء وممرضات وتعالج فيها مختلف امراض الجهاز الحركي والعصبي ، والهضمي ، والكبد ، والكلية ، والقلب ، والجلد ، والامراض النسائية ، وتحقق نتائج هامة في علاج امراض الروماتيزم ، والدورة الدموية ، والقلق النفسي والتوتر العصبي .

وهذه الثروة الطبيعية التي تستخدم في العلاج الطبيعي مع المنتجات الطبية الطبيعية التي تعتبر منتجات رومانية اصيلة مثل " الجيروفيتال " و"ال" اصلافيثال وهي من اكتشافات البروفسورة الدكتورة انا اصلان ، والتي انتشرت كطريقة في علاج الشيخوخة او تأخيرها في اكثر من ٦٧ بلدا في العالم يضاف اليها الان منتجات جديدة هي " بل آفسار " المستخرجة من الطين وهي مبنية اكتشاف الدكتور ستيفان اونسيكو كالينيستي وهذه المنتجات . تفيد في علاج الكثير من الامراض العضوية مثلما هي مستحضرات تجميلية ويتم العلاج الطبيعي في المراكز السياحية العلاجية تحت اشراف طبي متخصص ضمن برنامج متكامل للعلاج والسياحة حيث يقوم الزوار برحلات ونشاطات رياضية وفنية

وترفيهية وهكذا يمتزج العلاج بالترفيه ويعيش الزائر في جو طبيعي مريح يعيد اليه الصحة والعافية .

والمراكز الصحية التي تشرف عليها الدكتورة انا اصلان عديدة وكثيرة والمراكز الرئيسية هو في بخارست حيث تقيم . قبل حوالي عشر سنوات التقيت بها في دمشق وكانت في زيارة الى سورية ، بعدها تحدثت اليها وهي في مكتبها في بخارست . تتمتع بحيوية دافقة وكانت وقتها في سن الرابعة والثمانين ، وذكاء حاد ، فهي لا تسنى ادق التفاصيل ، وقد ذكرتني وانافي مكتبها في مركز ابحاث الشيخوخة في بوخارست بزيارتها لدمشق والتي امضت معظمها في لقاء المحاضرات العلمية وشرحت فيها ابحاثها المتقدمة والطويلة والتي بدأتها منذ اكثر من خمسين عاما عن مكافحة او تأخير الشيخوخة ، وتقرأ في عيني هذه الطبية حلما كبيرا ، انها تريد للانسان ان يحيا دائما شابا بلا شيخوخة ، ومن اجل ذلك تتابع البحث والدراسة لعلها تصل الى الاجابة الكاملة عن كل تساؤلاتها وقد حققت الكثير ، انها تعمل ساعات طويلة ولا تحس بارهاساق العمل وهي في مركزها الذي تدير والمشافي والمنتجات الصحية التي تشرف عليها ، تشعر باعتزاز بانها استطاعت ان تنشيء مدرسة طبية لها قواعدها واصولها وضعتها هي بعملها المستمر ومتابعتها الدؤوبة في العلاج الطبيعي وفي مكتبها فالبهااتف لا ينقطع عن الرنين . من باريس ولندن وجنيف ومن امريكا ومن كل انحاء العالم اطباء على الهاتف يريدون التحدث اليها واستشارتها

وبعده شخص آخر من زيمبابوي جاء الى المركز الصحي في "مانغاليا" على كرسي متحرك فقد كان مقعدا وخرج بعد فترة معافى يقود سيارته وهو يعود دائما بنفسه ليقوم بزيارة هذا المنتجع الصحي، ويأتي زوار من كل مكان يتجولون في هذه المراكز الصحية يشاهدون بأنفسهم اسلوبا جديدا في العلاج الطبيعى استطاع ان يثبت فعاليتها ونجاحه ، واصبحت هذه المراكز الصحية منتجعات سياحية يقصدها الاف الناس يجمعون بين الاستشفاء والنقاة .

ونعود الى الطبيعة واحضانها فالشاطيء ليس هو وحده الذي يسكب في النفس هذا الدفء . هناك الجبال اتلك التي قال عنها احد المفكرين الرومانيين سنة ١٧٠٠ ، بأن جبال " الكارباتس " في رومانيا يمكن ان تنافس جبال " الاوليمبوس " في الاساطير اليونانية ، فالغابات الكثيفة والتي تغطيها كانت تمنح الحماية للشعب الروماني على مدى الفسي سنة ، وجبال الكارباتس قديمة قدم جبال الالب وهي ترتفع حتى ٢٥٤٢ مترا . وممراتها واوديتها لوحات جميلة وغاباتها التي تمتد عبر القرون تكثر فيها مختلف انواع الحيوانات .

الاوذية والمنحدرات والممرات والانهر والجداول المائية العريضة والضيقة والكهوف والبحيرات بمياهها الشفافة وهي جميعا مكونات تلك اللوحة التي رسمتها الطبيعة بالوان متناسقة ، وهذه الجبال هي العمود الفقري للمحيطات السياحية في هذه البلاد مثلما هي العمود الفقري للنشاطات جميعا شبكة مركزية من الاوسترادات والطرق الدولية ومثلها من السكة

في امر او مسألة علمية او طبية ، واناس من مختلف الاعمار يطلبون موعدا لزيارتها . . . ويزدحسم مكتبها بالمراجعين الاتين من كل مكان وهي تتحدث اليهم و تدرس مشكلتهم الصحية وتضع بمساعدة طاقم المختصين الذين يعملون معها برامج خاصة بكل واحد منهم ، وتتنقل الدكتوراة اعلان بين مكاتبها في مركز الابحاث وبين عيا داتها المختلفة كل يوم لتشرف بنفسها على تطبيق برنامجها الصحي في مكافحة الشيخوخة وعلاج امراضها . . . وفريق كبير من الاطباء الذين يعملون تحت اشرافها يقومون بعملهم بكل همة ونشاط واندفاع وحماس انهم يبحثون عن وسائل تتيح للانسان حياة افضل بلا امراض ولا اوجاع بلا قلق او تشاوم من الشيخوخة لكي يبقى الانسان شابا تملأ الحياة بكل حيويتها كل خلية من خلايا جسمه . . . وحين تطوف في ارجاء هذه المراكز الصحية وترى اولئك الذين تقدم بهم العمر يركبون الدراجات ويسبحون ويقومون بالتمارين الرياضية المختلفة وقد ارتسمت على وجوههم اسارير الفرح والبهجة تحس حقيقة بأهمية الرسالة التي تؤديها هذه الطبية المجدة والطاقم الكبير من المختصين الذين تدربوا في مدرستها .

وهناك تسمع قصصا كثيرة تحدث في المراكز الصحية العلاجية الكثيرة المنتشرة في مختلف انحاء البلاد . . . فمنذ سنوات يتحدثون عن سيدة من اسكاندينافيا جاءت الى المركز العلاجي في " ايفوري - نورد " كانت على العكاز حين دخلت وبعد اسابيع ثلاثة كانت ترقص في بهو الفندق و " العكاز " على رأسها تلهوبه ،

والخطوط الحديدية تجعل الحركة دائمة ومستمرة بين طرفي هذه السلاسل من الجبال .
وقضاء العطلة في هذه الجبال وعلى مدار السنة حيث الزوار والسياح يستمتعون بمشاهد اخاذة تحمل الى النفس الدعة والهدوء بعيدا عن التعب والارهاق والتوتر العصبي والنفسي فالغابات واشجارها تجعل المرء يستحم على الطبيعة في الاوكسجين والاوزون ينقي الصدر مما علق به من ملوثات البيئـة انه كنز حقيقي للصحة والحياة ومع الحركة والنشاط والرياضة الصيفية والشتوية والتزلج على الجليـد يخفق قلب السياحة في تلك البلاد، ولقد اقيم عدد كبير من مراكز السياحة والمنتجعات والمصايف على قمم الجبال وفي مناطق غاية في الجمال ولعل اشهرها للسياح براشوف ، وفيها جميعا الفنادق الجميلة والفيلات والشاليهات والبيوت الريفية ، وكلها مفتوحة على مدار السنة ومنذ كانون الاول وحتى اذار فان رياضة التزلج على الجليـد تطفى على كل رياضة في المنحدرات الثلجية على الجبال الى جانب المصاعد الجبلية والعربات والى جانب الرياضة والمسابح الشتوية فهناك الترفيه الذي توفره الحفلات الشعبية من غناء ورقص وهناك مدارس خاصة

يقوم فيها مدربون بتدريب الزوار على ممارسة الانواع المختلفة من الرياضة وخلال اقامته يستطيع الزائر ان يتنقل بين القرى الجبلية التي تحتفظ بتقاليدها والى تلك المدن والتي ما تزال تحمل رومانسية القرون الوسطى والى البلدان ذات الفولكلور والصناعات اليدوية والتقليدية ، فتستمتع العين مما ترى .
واذا بك تمضي في زيارة هذه البلاد فتحس حقيقة بغنى الحضارة والتاريخ والفن والطبيعة مثلما تحس بنبض الحاضر والمستقبل وترسم في ذهنك صورة هذه الثروة الطبيعية المتميزة والتي استطاعت رومانيا بامكانات وقدرات متقدمة وبحركة لا تتوقف على التطوير والتحديث ان تخلق صناعة سياحية على درجة كبيرة من التكامل وجعلت من السياحة صناعة تستند الى دعائم وركائز تمتد الى مختلف القطاعات الخدمية والتطـور المتسارع يجعل الزائر يشعر في كل مرة يروى فيها تلك البلاد بأنه يتحسس وبدرجة اعمق صور ذلك الجمال الطبيعي الذي استطاع الجهد البشري ان يرسم منه لوحات مؤثرة ومدهشة .

منير الجبان

مسكين الدارمي

(...-٥٨٩هـ) (٢٧٠٨-...)

شاعر عربي من القرن للأدب العربي

عبدالمعين المأوي

أظن أولا انكم سمعتم باسم هذا الشاعر
(مسكين الدارمي)
وأؤكد لكم ثانيا انكم تحفظون بعض شعره
ولا سيما بيتيه المشهورين اللذين
يفنيهما صباح فخري
قل للمليحة في الخمار الاسود
ماذا فعلت بناسكك متعبـ
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى بدوت له بباب المسجد
وأعتقد ثالثا انكم تعرفون مناسبة
هذين البيتين :

جاء تاجر يبيع الخمر السود الى
المدينة فكسدت بضاعته ، فشكا امره الى
مسكين الدارمي فقال الشاعر هذين
البيتين ، فلم تبق في المدينة جارية
الا اشترت خمارا اسود ونفقت بضاعة
التاجر في ايام معدودة .

ولكني قبل ان اخوض في موضوعي الاصلي
واعدد مواقف هذا الشاعر العربي التقدمي
من المرأة وتحريرها اريد ان اقف قليلا
عند نقاط ثلاث تشغل بالي على السدوام
وتتعلق تعلقا مباشرا بموضوعي ، والح
عليها الحاحا في كل ما اكتب .

النقطة الاولى : الحرية ، كل حرية ،
حرية الانسان وحرية المرأة لم تدرك في
يوم واحد ، انها ثمرة عدد كبير من
الشهداء والشهيدات ، ماتوا في سبيل
الحرية قال الجواهري :

لثورة الفكر تاريخ يذكرنا
بان الف مسيح عندها طلبا

اول امرأة هندية رفضت ان تحرق
مع زوجها الميت فأحرقوها رغم انفهامها
كانت اول شهيدة تمسكت بحقها في البقاء
والحياة .

تعودت خلال قراءاتي للادب العربي
ان اشير الى ملاحظاتي في هامش الكتب
التي أقرأها منذ بدأت القراءة الجديدة
في الثلاثينات من هذا القرن ، فاذا عدت
الى هذه الملاحظات بعد سنوات ، وجدت
موقفي منها عجيبا حقا ، فهناك ملاحظات
أنكرها اليوم أشد الانكار وكنت أقرأها
امس أشد الاقرار ، وهناك ملاحظات أقرأها
اليوم أشد الاقرار ، وكنت أنكرها امس
أشد الانكار .

هناك اجد ملاحظات ذكية أفرح بها
وأسر ، وهناك اجد ملاحظات غبية أحزن
منها وأغضب .

ما أحسن ان يدون القارئ ملاحظاته على
هامش كتبه ، وما أحسن ان يبدأ بتسجيلها
منذ مطالعته الاولى ، لو فعل ذلك لرأى
بأم عينيه لوحة كاملة تعرض عليه تطور
عقله وفكره ونفسه وقلبه .

يبدو لي اني لو جمعت هذه الملاحظات
الان لكانت تاريخ انسان عربي ، عاش في
هذا العصر ، رافقه منذ كان طفلا في
سنه وتفكيره ، حتى صار رجلا ثم كهلا ثم
عجوزا ، انها سجل صادق لتطور هذا
الانسان العربي الذي بدأ مطالعته في
الثلاثينات ثم هو ما يزال يحاول ان
يكون (مثقفا) في الثمانينات من
هذه الملاحظات التي سجلتها على هامش
ديوان مسكين الدارمي عندما قرأته هذه
الملاحظة :

(تمودج لفكر عربي حر ، يعبر عن حريته
بموقفه من المرأة ودعوته الى احترام
شخصيتها في السلوك والحياة) .
فمن هو مسكين الدارمي ، وأين نجد
موقفه المتحرر في شعره .

أول امرأة صينية أبت ان يزوجها ابواها بمن لا تحبه ، وبمن لم تختاره بنفسها فحبسها أهلها او قتلوها دفاعا عن تقاليد الزواج الاقلامية في الصين كانت اول من خطت بدمها حق المرأة في اختيار زوجها .

أول امرأة في بلادنا رفعت الحجاب عن وجهها وبرزت للناس فاضطهدوها وسالت دماؤها في احد شوارع دمشق كانت اول شهيدة تدافع عن حق المرأة في رؤية الطبيعة والدنيا دون حجاب .

وهكذا توالى قوافل الشهداء عبر التاريخ الطويل دفاعا عن الحرية . وما تزال تتوالى لتحقيق انماط جديدة من الحرية ابدعها تطور الانسان والمجتمع في العصر الحديث ، مثل حق العمل وحق الاجور المتساوية .

النقطة الثانية :

هي ان الحضارة الحديثة ، بما فيها من رقي ورفاه ، ليست من نتاج شعب واحد ، ولا ارض واحدة ، وانما هي بناء ضخم اشتركت فيه كل شعوب الارض ؛ فليس لشعب ان يفتخر على شعب بأنه هو الذي بنى الحضارة .

أول من ركب جذع شجرة لبناء نهرها كان جد الملاح الكوني الذي يقطع اجواء الفضاء في هذا العصر .

أول من قذف حجرا ليصطاد طبييا او يطرد ذئبا كان ابا لمن يقذف صاروخا في هذا العهد .

أول من حفر كهفا في جبل ليسكنه كان اخا لمن يبني ناطحات السحاب في هذا الزمان .

الاسكيمو في ثلوج القطب أسهموا في بناء الحضارة .

الهنود الحمر في المكسيك كانوا من اوائل من ابدعوا الفن .

المصريون القدماء كانوا اول من بنى الاهرامات وابتدعوا تحنيط الاموات الصينيون كانوا اول من اخترع الموصلية واكتشفوا البارود .

الفينيقيون كانوا اول من اخترع الكتابة .

اذن ، فان كل الشعوب ، في كل بقعة من بقاع الارض ، اشتركت في بناء هذا الحضارة التي استكملت لنستمتع بها الان .

النقطة الثالثة :

ان حكمتنا على شاعر او كاتب او

مفكر لا يجوز ان يبني على مفاهيم العصر الحاضر ، وانما ينبغي ان نحكم عليه بمقاييس عصره ، فالذي يبدو طبيعيا وبديها في هذه الايام لم يكن طبيعيا وبديها في الايام السابقة .

ثورة سبارتاكوس الذي قاد العبيد في القرن الاول قبل الميلاد هي ام ثورة العمال والفلاحين في القرن العشرين ، كانت الثورة الاولى التي مهدت لثورات عصرنا الكبرى .

ثورة الزنج في القرن الثالث الهجري هي التجربة الاولى لثورة الشعوب الملونة ، ثورة السود في افريقيا وثورته الصفر في آسيا .

قبس النار الذي سرقه بروميثيوس من الشمس وخبأه في قصبة ، فغضبت عليه الالهة وقيدته على صخرة في اعلى جبال القوقاز ، وارسلت عليه نسا يأكل من كبده كل يوم ، هذا القبس الضئيل هو مبدع القنبلة الذرية ثم القنبلة الهدروجينية ، وغيرها من سلسلة القنابل المدمرة - ويا للأسف - في القرن العشرين .

ولون : لقد تمنا الى شاعرك بعد حديثك الطويل عن نقاطك الثلاث من هذا الشاعر ؟ وما الذي صنع من اجل حرية المرأة في القرن الاول الهجري ؟ وأقول لكم في صراحة وصدق :

ان لكم الحق ، كل الحق ، في غضبكم علي وضيقتكم بنقاطي الثلاث .

ولكنكم سترون ان هذا الحديث الطويل ضروري لفهم الشاعر الشاعر وربطه بتيار الحرية والحضارة والتقدم ، بنضال الانسان المستمر ليكون انسانا .

أظن انكم تعرفون الان اسم الشاعر : انه مسكين الدارمي .

فمن هو مسكين الدارمي اولا وما هني مواقفه من حرية المرأة العربية ثانيا

مسكين الدارمي هو ربيعة بن عامر من بني دارم ثم من بني تميم ، قبيلة الشاعر الفرزدق شاعر عراقي شجاع ، كان من سادات بني دارم وعاش في القرن الاول من الهجرة وتوفي عام تسعة وثمانين هجرية و عام سبعمائة وثمانية ميلادية ، ولقب مسكينا لبيت قاله :

أنا مسكين لمن يعرفني
لوني السمرة الوان العرب

وكثيرا ما كانت العرب تطلق على الشاعر لقبامستمددا من كلمة مرت في شعره .

عشر عنصرا ويالها من عناصر ما تزال
حتى في هذا العصر ، نفتقر اليهـــــــــــــــــا
ونطالب بها .

ولكن اين شواهد هذه المواقف
في شعره ؟

الشواهد كثيرة تتكرر مرارا ، ولكنني
أسألكم الصبر على لغة مسكين ، فلغته
تحتاج في كثير من الاحيان الى ترجمة
من العربية الى العربية لسبب واحد هو
اننا لا نعرف لغتنا - وياللاسف .

قال الاصمعي (امالي المرتضى) : ٤٧٥ ،
الديوان ٤٠ - ٤١) :

أحسن ما قيذ في الغيرة قول مسكين
الدارمي :

ألا ايها الغائر المستشيط
علام تغار اذا لم تغر ؟

فما خير عرين اذا خفتها
وما خير بيت اذا لم يزر ؟

تغار على الناس ان ينظروا
وهل يفتن الصالحات النظر ؟

فأني سأخلي لها بيتها
فتحفظ لي نفسها او تذر

اذا الله لم يعطه ودها
فلن يعطي الود سوط ممر

يكاد يقطع أضلاعه
اذا ما رأى زائرا او نفر

فمن ذا يراعي له عرسه
اذا ضمه والمطي السفر ؟

وهكذا يدعو مسكين الى عدم
الغيرة العمياء على المرأة ، ما دامت

المرأة حافظة لنفسها ، محبة لزوجها ،
كما يدعو الى تبادل الزيارات بين

الناس فما الفائدة من زوجة تخاف عليها
في كل حين ؟ وما فائدة بيت لا يزوره

الاهل والاصدقاء ؟ ثم انك ايها الغيور
تخاف ان ينظر الناس الى اهل بيتك

وزوجتك كأن المرأة الصالحة محتمة عليها
ان تفتن اذا نظرت الى الناس .

ثم يضع مسكين قاعدة لسلوكه في بيته
انه سيعطيها حريتها في البيت ويخليه

لها ، فان حفظت نفسها فنعم ما تفعل ،
وان لم تحفظ نفسها فلتذهب حيث تشاء

فهي ليست لي بزواج وبيني وبينها قراق
الابد .

ان الحب بين الزوجين لا يبني على
الاكراه والارهاب ، ولكنه يبني على

التفاهم المتبادل ، والسوط الذي جدلته
ثم ضربت به زوجتك لا يعطيك حبا بل هو

طريق الى شذوذها ونفورها .

جمع الاستاذان عبد الله الجبوري
وخليل ابراهيم عطية شعر مسكين واصدراه
في ديوان عام ١٣٨٩ هـ الف وثلاثمائة
وتسعة وثمانين . و ١٩٧٠ الف وتسعمائة
وسبعين ، في بغداد .

فأين دعوة مسكين الى حرية المرأة
ودفاعه عنها في هذا الديوان ؟ .

نستطيع ان نجمع العناصر التدمية
والثورية في شعر مسكين بالوصايا
التالية :

١ - لا ضرورة للغيرة على المرأة مادامت
مطمئنا الى عفافها وشرفها .

٢ - لا خير في بيت زوجي لا يزوره الناس
في حضور الزوجين معا .

٣ - لا بأس من نظر الناس الى زوجتك
فالمرأة الحرة لا يفسدها النظر .

٤ - اترك بيت زوجتك لها دون مراقبة .

٥ - الحب هبة الهية يقوم عليه الزواج ،
ولا يأتي الحب عن طريق الضرب بالسوط او

الحبس في البيت .

٦ - المرأة حرة في استقبال زائر واحد
او عدة زوار في بيتها بحضور زوجها او

غيابه .

٧ - دع لزوجتك الحرية وانت مقيم معها
في المدينة ولا تراقبها ، فأنت لاتستطيع

مراقبتها اذا سافرت .

٨ - لا تقعد في بيتك الى جانب زوجتك
ولا تجعل البيت قبرها .

٩ - شرف المرأة يمان بها وسلوكها ،
ولا يمان ببناء الاسوار والقصور .

١٠ - لا تتهم امرأتك وان قال القائلون
وافترى المفتررون ، حتى تتحقق وتختبر .

١١ - الغيرة حسنة في حينها وعند
الضرورة ، وقبيحة في كل وقت .

١٢ - ارتيابك في سلوك زوجتك ، وشكك
في طهارتها مدعاة لها الى سلوك غير

مستقيم واغراء لها بالانحراف .

١٣ - يكفي الرجل في ثقته بزوجه ان
تكون ذات خلق كريم ودين مستقيم .

١٤ - لا تخن زوجتك فتخونك ، فأمانة
الرجل مرتبطة بأمانة المرأة . وحياته

لها تسوغ خيانتها له .

١٥ - اذا خانك زوجتك فالطلاق وحده
سبيل الخلاص ولا حاجة لعقوبة غير هذه
العقوبة .

تلك هي العناصر الاساسية في
تنكير مسكين وسلوكه جمعتها في خمسة

ثم يعرض مسكين لحالة الغيور ، انه يكاد يقطع اضلاعه اذا زاره زائر في بيته او اذا خرج في سفره يعيـد ويسأله في هدوء :

هـك استظعت ان تحفظ اهلك وانت في بلدك فمن ذا الذي يحفظها لك اذا سافرت ؟

أليس طريفا أن تسمع شاعرا عربيا في العصر الاموي وفي القرن الاول للهجرة . يدعو الى حرية المرأة والى زيارة الاصدقاء للبيت ، ثم يحمل على كل من يغار على اهله اذا زاره زائر او سافر في عمل ويهاجم كل من يرى في ضرب المرأة وحجرها سبيلا الى اكتساب حبهـا والالتمثنان الى سلوكها وعفافها .

وهذه قصيدة ثانية في الموضوع :

قال المرتضى : وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله (امالي المرتضى ١ : ٤٧٥ الديوان ٤٧) واني امرؤ لا آلف البيت قاعدا

الجنب عرسي لا افارقها شبرا ولا مقسم لا تبرح الدهر بيتها لاجله قبل الممات لها قبراً اذا هي لم تحصن امام فنائها فليس ينجيها بناي لها قصراً ولا حاملي ظني - وان قال قائل على غيرة حتى أخيط به خيراً وهبني امرأ راعيت مادمت شاعدا فكيف اذا ما غبت عن بيتها شهراً

في هذه القصيدة يرسم الدارمي سلوكه في بيته وموقفه من زوجته / انه لا يقعد في البيت يراقب زوجته ولا يفارقها ، بل هو يخرج من بيته ويسعى الى رزقه ، فاذا خرج لم يحلف على زوجه كي تبقى في البيت ، فلا تبارحه خوفاً منها او خوفاً عليها ، ليجعل البيـت قبراً لها في حياتها لا تفارقه الا الى قبر اخر بعد مماتها ، ولكنه يترك لها حريتها في الخروج من البيت حين تريد .

ويعلل مسكين موقفه هذا التقدمي بقوله : اذا لم تكن زوجتي مخلصه لي وهي في خيمة او كوخ او بيت صغير ، فليس يجعلها أمينة مخلصه ان ابني لها قصراً أسجنها فيه وأقيم عليها الابواب والحراس والارصاد فالمرأة الوفية لا تغويها رقة الحجاب ، والمرأة المنحرفة لا تحصنها منعسة الابواب .

ثم ان الناس ليقولون الاقاييل ويرجعون الظنون ولست ابالي بهم ولا بأقوالهم وظنونهم ما دمت مطمئنا الى حب زوجتي واخلاصها ووفائها .

ويعود مرة اخرى فيكرر معنى بيت سابق في القصيدة الاولى فيقول :

اذا حميت زوجتي من السقوط وانا في بلدها وبيتها فكيف احميها اذا غبت عنها شهراً ، أليس من الاولى ان يصونها شرفها

وفي القصيدة الثالثة يفرق مسكين الدارمي بين الغيرة المعقولة والغيرة القتالة ، فالغيرة قد تحسن احيانا ولكنها قبيحة في اغلب الاحيان ، والافراط في الغيرة يعري المرأة بالخروج عن سلوكها السليم ، كما يعري الناس بالتحرش بها ومطاردتها .

ان خير حصن للمرأة خلقها القويم وحبها اما غير هذا الحصن فليس حصناً .

واخيراً يرى مسكين رأياً جريئاً عجيباً : ان من حق امرأتك اذا رأت منك ما يريبها ان تفعل بك ما يريبك ، فأنتمـا متساويان في الحق وفي الواجب .

فاذا انحرفت انت بدأ لها ان تنحرف واذا اطلعت منك على ريبة او شككت ان تطلع منها على ريبة :

قال مسكين (امالي المرتضى ١ : ٤١ ، الديوان ٦٧) .

أحسن الغير في عيـنـها وأقبح الغيرة في دنـها حين من يزل متهمها عرسه مناصبها فيها لو هم الظنون يوشك ان يفريها بالذي يخاف او ينصبها للعيون حسبك من تحصينها ضمها منك الى خلق كريم ودين لا تظهرن منك على عورة فيتبع المقرون جبل القريـن

ولكن فسكيناً يقر ويؤيد غيرة أخرى ، هي غيرة المحارب على حرمه حين يهاجمه عدو وتضطرب النساء الى الخروج من بيوتهن وخذورهن هاربات ، وعندئذ تكون الغيرة على النساء مقبولة وعندئذ يجب على الرجال حماية النساء وانقاذهن .

قال مسكين :

فغرنا ان غيرتنا كذاكم اذا برز النساء من الحجال اذن فهكذا تكون الغيرة على النساء والا فلا .

واحب ان اشير بهذه المناسبة الى ان العرض عند العرب ، ليس كما يفهم منه اليوم ، مقتصر على العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، ولكنه بمعناه الاصلي العريض : شرف الانسان وحسه .

موضوع المرأة وحريرتها . . كلا ثم كلا
بل كانت الحكمة والفخر والحماسة من
أغراضه .
واليكم بعض ابياته من هذه الموضوعات :
١ - ليست الاحلام في حال الرضا
انما الاحلام في حال الغضب

٢ - اضحك ضيفي قبل انزال رحيله
ويخصب عندي والمحل جديسب
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب

٣ - اخاك اخاك ان من لا اخا له
كساع الى الهيجا بغير سلاح

٤ - ايها السائل عما قد مضى
هل جديد- مثل ملبوس خلسق

اسمحوا لي في نهاية محاضرتي
ان الخص عناصرها :
١ - المثل العليا وفي رأسها الحرية
كانت ثمرة عدد كبير من الضحايا
والشهداء .

٢ - الحضارة ليست من صنع شعب واحد ،
ولكنها ملك للانسانية جمعاء .

٣ - الحكم على المفكرين والشعراء
والادباء اينبغي ان يتم بمقاييس عصرهم
٤ - مسكين الدارمي شاعر في القرن
الاول الهجري سبق عصره بمراحل . بل انه
لا يزال يسبق العصر الحديث في بعض
اقطار الارض .

واختتم محاضرتي بكلمة الكاتب
البلغاري (ميرون ايفانوف) :
(ما اكثر الافكار السامية التي
تختفي دون ان تترك اثرا ، لسبب واحد
بسيط هو ان زمانها لم يحن) .
وأضيف تعديلا على هذه الكلمة
فأقول (ان الافكار السامية لا يمكن ان
تختفي الى الابد ، بل هي تكمن وتتربص
حتى اذا حان زمانها ظهرت قوة جامحة
وسيلا متدفقا واستطاعت ان تغير وجه
الحياة .

أيتها الحرية ، كم شاعر شاعر غنسى
باسمك الكريم . .

عبد المعين الملوحى

الشيخ كامل .. رجلٌ مسرورٌ

محمد أبو صوفه

لقد كانت طفولتي في القرية
ازاء هذا العيش الناعم سعادة
متصلة .. وكنت امضي بعض ساعات
نهاري ، الهو وألعب مع نفر من
الاقرباء تحت الاشجار الوارقية
والينابيع الفوارة .
ولكن هذه السعادة لن تدم ،
بل ذهبت أدراج الرياح دفعة
واحدة ، كان ذلك قبل ثلاثين
عاما على وجه التقريب .
وفي يوم من ايام ايلول فاجأني
والدي بقوله ستذهب يا بني غدا
الى الكتاب لتتعلم القسراة
والكتابة ، فصعقت لهذا الخبر
وذهلت له أيما ذهول .. اذن فقد
ولت أيام اللعب واللهو ، وجاءت
أيام الجد لا محالة ، بل جاء
الحساب والعقاب ؟ فلقد سمعت من
تلاميذ الكتاب الشيء الكثير عن

كانت البقعة التي فيهما
قريتنا بقعة جميلة رائعة ، فلقد
غطت أفقها الغربي غابة كبيرة
متشابكة من أشجار الزيتون
والكستناء ، من بينها أشجار تعد
أعمارها بالقرون نهضت من بين
السفوح الرقيقة وراحت تغمـر
الكون ببحر من الخضرة النضرة .
أما من الجهة الشرقية فقد اتصل
الفضاء اتصالا رائعاً بذلك السهل
المنبسط الخصيب الذي وشحته الى
مالانهاية حظائر خضراء صغيرة ..
بينما اخترقته بعض أشجار الحور
العملاقة في صفوف منظمة أجيانا .
أما المياه في قريتنا فقد
كانت تتدفق من بين الصخور .. ،
نقية نقاء البلور حاملة الاصداء
الناعمة في تلال الغابة الصامتة
المهيبة .

قصص العذاب وحكايات الضرب
بالعصا ، يقوم بدور البطولة فيها
صاحب الكتاب الشيخ كامل .

صبيانهم ويقرأ لهم المولد فسـي
اكثر الاحيان .

وكان اهل القرية يسمونه في
اكثر المناسبات (الخطيب) وهي
تسمية كانت تطلق على كل من يقرأ
ويكتب ، ما دام قادرا على ان
يقرأ المكتوب ، ويفسر مضمونه .
وكان للشيخ كامل صوت يشبه
الرعد ، ويعم الاذان ، ويخرس
اللسنة ، عن النطق ، والكلام
والويل لمن يخطيء او يلحن في
قراءة الدرس او يتأخر ويتوانى
عن نسخ واجبه البيتي ، فلن تلفت
رجلاه من الفلقة بالعصا ، وتلك
كانت هوايته المفضلة

وحيثما انتظمت مع التلاميذ
في الكتاب في اليوم التالي . .
لم يكن نصيبي من العصا بأقل
من نصيب زملائي . . عند ذلك بدأت
كراهيتي للشيخ تتأصل ، وتزداد
يوما بعد يوم .

كان الشيخ كامل رجلا مخيفا ،
عريض الكتفين ، طويل القامة ،
ذا كرش متدل ، بدينا غليظ الانف
وعيناه تميلان الى الحدة ، كما
كان متجهم الوجه في غير انقطاع ،
ماكر في غير هواة ، يعرف كل
شيء حتى الحركات الصغيرة التي
كنا نخفيها بعيدا عنه .

وكان نتهامس فيما بيننا من
نحن الصبية : ان الشيخ كامل قد
رزق عينين خلف اذنيه ترصدان
تحركاتنا وسكناتنا ، وان كان
ثمة ميزة يتميز بها الشيخ ، فانها
مشيته العجيبة فانت لا تملك نفسك
اذا ما رأيتة الا ان تسأل : هل
يستطيع هذا الرجل العدو دون ان
يتكفيء على وجهه ؟ فهو اذا مشي
رجع صدره الى الخلف قليلا وتقدم
بركبتة الى الامام قليلا ، فاذا
نظرت الى جزء جسمه الاعلى دون
الاسفل ، خلته هودجا فوق جمـل
يتمايل ، واذا نظرت الى جسمه
الاسفل دون الاعلى حسبت ان شيئا
خفيا يدفع مفاصل ركبتة الى
الامام كلما خطا ، ومع ذلك كان
اهل القرية يكثرون للشيخ كل
اكبار واجلال وكان هو بدوره
يبادلهم هذا الاجلال ، ولولا ذلك
الاجلال المتبادل ، لما مكث الشيخ
في هذه القرية هذه المدة التي
تزيد على عشرين سنة بينهم ، يعلم

ولم اكن ادري لماذا كان
يطرب اشد الطرب ؟ وتظهر على
وجهه علائم الرضا والقبول حين
نصرخ باكين مستنجدين ؟ أهـو
اقتناعه بأننا سوف نتجنب التقصير
مرة اخرى ؟ . . ام تلذذه لسماع
كلمات الاستغاثة والرجاء ، خارجة
بشكل عجيب من افواه الصبية
الصغار ، وكأنها لهاك المبهور . .
وقد شكوته ذات يوم لوالدي
وقلت له :

" انظر الى يدي يا ابي كيف
تورمتا من عصا شيخنا العاتسي
الجبار . . ؟ "

فما كان من والدي الا ان اعتدل
في جلسته ، وعلى شفثيه ابتسامـة
السرور ، وفي وجهه علامة البهجة ،
وقال بصوته الخفيض ، ولهجتـه
المتأنية : " يا بني ان عصا
المعلم من الجنة " .

فلم تعجبني هذه الموعظة اذ ذاك
ورحت افكر بأمر الجنة التي تنبت
هذه العصا ، واقتنعت نفسي أنها
سوف لا تكون الجنة التي قرأنا
عنها في الكتاب الكريم ، والتي

عرضها السموات والارض اعسدت
للمتقين ، وهي أمنية الناس جميعا
لأن فيها السرور الابدي والخلود
السرمدى .

ولكن سرعان ما انقطع حبل
تفكيرى ، حينما سمعت والدى يقول
ويهز رأسه ، وقد تبدى في ملامح
وجهه الاسى والحزن :

" اللهم ارزقه الولد الصالح "
فأدركت من حديث والدى ، ان الشيخ
كامل لم يرزق الولد ، رغم انه
تجاوز العقد الرابع من عمره
ورجعت بي الذاكرة الى شهور خلت ،
حين تجرأ أحد الصبية وسأل الشيخ
يوما عن أولاده وأنه لم يرهم ،
ويتوق الى لقياهم ، واللعب معهم
.. فلم يكن من الشيخ الا ان اطال
النظر الى ذلك الصبي فاحصا اياه
بنظرات حانية ، ثم طأطأ برأسه
الى الارض ، وحين رفعه ثانية ،
كانت الدموع تترقرق في عينيه ،
ولم نفهم معنى ذلك ولم ندرك
له سببا ..

وذات صباح مشرق جميل تخلف
الشيخ كامل عن الحضور الى الكتاب
وامتد غيابه الى ساعتين او اكثر
وشاعت التنبؤات بين الصبية ،
فأخذوا يقولون :
" لعله مريض ، لعله نزل به ما
يشغله ، لعله ذهب الى العاصمة
يتداوى عند الطبيب الذي تعود ان
يذهب اليه ايام الجمع فقط
لعله مات .. "

وكان هذا التنبؤ الاخير
مشارا لبهجة الصغار ، حين تنبأ
به احد الخبثاء منهم فجعلوا
يرددونه كما لو كان حقيقة لاجدال
فيها ، ولا يأتيتها الباطل من بين
يديها ولا من خلفها ، فأثارت فينا

موجة عارمة من الصخب والضجيج ،
كأنما تنطلق من كل قيد ما دام
الشيخ كامل اصبح في ذمة الله .
وتعالى منا ضجيج لا حد له ،
كأنما كان غياب الشيخ فرصة
لا يعوضها معوض ، وامعنا في لهونا
وصراخنا ، حين وجدنا ان لا رقيب
ولا حسيب .

ولكننا فجأة وعلى حين غرة
وقفنا عن ذلك كله دفعة واحدة
وتسمرت عيوننا عبر الزقاق المؤدى
الى الكتاب ، وقد عقد الرعب
ألسنتنا وسادنا صمت مطبق رهيب
حتى تناهى الى اسماعنا خريصر
المياه من تلك الينابيع .

.. يا للهول .. يا للمصيبة
.. لقد وصل الشيخ وها هو ذا
يختال في مشيته العجيبة وكأنه
الديك الرومى الهائل ، وحولسه
أهالي القرية يصفون اليه بأدب
واحترام ، وهو يتحدث بوقسه
المصطنع ، وما ان وصل الكتاب
حتى توجه الى صفته الخشبية
وأخذ موقفه فوقها كالمعتاد .. وقد
اختلف ذلك التجهم المرعب من
وجهه ، وحلت في موضعه بسمة عريضة
لعلها أنزلت في قلوبنا الرعب
والفرع ، لأنها في عرفنا كانت
تعني أن الشيخ الجبار سوف ينهال
ضربا بعصاه وكأنما هويبتهمج
لأناتنا ، قبل أن يلامس ذلك أذنيه
ومن اجل هذا فهو يطرب ، وليست
ابتسامته الا بداية ذلك وتمهيدا له

وبدأنا نترقب ما سينزله بنا
على نحو عشوائي ، لا تمييز بين
آثم وبريء .. مرت دقائق كانت في
طولها كأنها العمر كله بينما هو
في شغل عنا ، فقد خلع عمامته
ثم وضعها على احدى ركبتيه وأخذ

عمر يحيى

الحرثي والشاعر وللناس

بقلم : فريدما

- ١ -

ذلك اليوم الثاني والعشرون من شهر شباط من عام ١٩٧٩ ، لا ينسى ، كانت عاصفة هائجة فيه تضرب العاصمة الفرنسية وكانت السماء تساقط الثلج غزيرا فتكسي منه باريس رداءً ابيض حلوا ، وتنخفض درجة الحرارة بسبب من هذا وتلك السي درجات بلغت عشا تحت الصفر ، فاضطر اكثر الناس الى اللجوء الى بيوتهم مع هبوط الظلام ، ليتقوا شر العاصفة ، وليلتسوا فيها الدفء والحنان والرعاية .

كان برنامج زيارتي للمؤسسات والمدارس الفرنسية في ذلك اليوم حافلا ، فاضطرت الى الاقتصار منه على زيارة احدى دور النشر حيث سعدت بما تعرفت اليه من وجوه نشاطها ثم قصدت فندقي الباريسي مع هبوط الظلام ، لأتقي بردا لم نعمده ، ولأقضي شطر الليل مع كتاب (تاريخ دمشق) لابن عساكر تمهيدا لاعداد بحث اشارك فيه في مهرجان هذا العلامة الدمشقي الكبير بعد شهرين .

دلفت الى الفندق بعد ان رفضت عن منكمي ما علاهما من ثلج ، وسعدت بالدفء الذي لفح وجهي بعد ان غلقت الباب ورائي ، هد رب الفندق يده بدغتنج غرفتي ومعه رسالة ، تمليت كتابتها فتعرفت فيها الى خط استاذي (جان غولميه) وكان ذلك امرا عجيبا ، رسالة من جان غولميه ، وكنت عنده قبل ثلاثة أيام ؟

لا بد ان امرا هاما ، قد حدث ، فدفعه الى كتابة هذه الرسالة .

فتحت المغليف بينما كان المصعد يرقى بي الى غرفتي ، وتلوت في الرسالة ما ترجمته :

باريس في ٢١/٢/١٩٧٩م

((أيها المديق العزيز اناحزين ، حزين ، حزين ، ولا اجد اليوم من أذرف دمومي بين يديه . لقد وصلتني اليوم من صديقي فخري الكيلاني رسالة ينعي فيها صديقنا الشاعر الكبير ، والمربي القدير عمر يحيى ، كان النبأ بالنسبة لي صاعقا ، على الرغم من انني اعرف أنه مريض ، فيا للقدر ، ما أقساه ، ويالقلوبنا ما أوسع آمالها عندما يتصل الامر بمن نحب وها هو ذا يصفعنا ، ويقلب تفاؤلنا الى تشاؤم ، ويضرب فجأة اعز الاصدقاء ليحمله معه الى العالم الاخر .

لم يكن عمر يحيى الشاعر العربي الكبير ، والاستاذ المربي القدير فحسب ، بل كان ، بالنسبة لي ، الصديق الكريم ، والزميل العزيز ، ورفيق الشبابة البعيد ، فلقد تزامننا في تجهيز حلب الاولى ، عشر سنوات عرفت فيها قلبه الكبير ، وعقله النير ، وثقافته الموسوعية ، وحسه المرهف ، وشعره المجلي ، وانها لمناسبة افيد منها لأشكر الشكر الجزيل لانك يسرت أمر زيارتي له ، منذ شهرين ، زيارة أبقت في قلبي صورة لوجهه المشرق لا احلى منها ولا أنقى)) .

- ٢ -

تضم هذه الرسالة عاطفة مشبوبة قلما يشعر بها الغربي ، ولكنها معروفة

عن استاذنا جان غولميه ، الذي يمتاز
بخصال كثيرة ، أهمها الوفاء والحساسية ،
والقلب الكبير الذي ينبض حبا وحنانا ،
وتضم بالاضافة الى ذلك تقويما جيدا
لعمري يحيى ، وتبينا لمكانته شاعرا
ومربيا وانسانا . وتذكر بزيارة قمنا
بها معا لابي طريف يوم العشرين من
كانون الاول من عام ١٩٧٨ ، في بيته من
شارع اسكندرون بحلب ، حيث اجتمع
الصديقان بعد فراق استمر عشرين عاما ،
فتعانقا اجمل العناق واحره ، وتذاكرا
ايام الصبا البعيدة قبل خمسين عاما ،
وودع كل منهما صديقه ، على امل بلقاء
قريب لم يتم .

واحسرتاه ، لان المرض لم يمهل
عمر يحيى بعد هذه الزيارة اكثر من
خمسين يوما ، اذ انه توفي ، رحمه الله
في حماه يوم الرابع عشر من شباط من
عام ١٩٧٩ م .

روى لي الاصدقاء ان جنازته كانت
حافلة ، مشى فيها من اصدقائه وتلاميذه
وعارفي فضله الكثيرون ، ونعته في تلك
الايام الصحف جميعا ، والاذاعة كذلك ،
فنحن نعيش منذ عام ١٩٧٠ ، جو الحركة
التصحيحية المجيدة التي تاد الرئيس
المناضل حافظ الاسد ، وارسى بها دعائم
كثيرة لعل من أهمها تكريم المبدعين
والمخلصين ، والذين قدموا خيرا في
تاريخ أمتهم ، وكان عمر يحيى مبدعا في
شعره وفي تعليمه ، مخلصا في عمله وفي
سلوكه ، لذلك كان أثره ، فيمن ربي من
اجيال كبرى ، ومكانته في أدبنا العربي
الحديث المكانة التي يشار اليها
بالبنان .

- ٣ -

عرفت استاذنا عمر يحيى ، أجزل
الله ثوابه ، منذ ما يقرب من نصف قرن ،
وعلى وحه الدقة في شهر تشرين الثاني
من عام ١٩٤٠ ، كان قد اوكل اليه في
تلك السنة امر تدريس صفنا ، الذي كان
يسمى الصف السادس (الاول من المرحلة
الاعدادية اليوم) ، قسما من حصص مادة
اللغة العربية يشمل الاستظهار والقواعد .

ودخل علينا في يوم خريف بارد
وفي الحصة الاولى ، سميري القامة كرمح
عربي ، ألقى الانف كبدوي من اصحراء ،
أشعث الشعر كأسد ، عابس الوجه كسماء
ذلكم اليوم . .

نظرا اليينا بامعان لمدة دقيقة ، حتى
اذا ما تأكد من انتظام الامور ، والصمت
الذي ران على الصف طلب اليينا بحده ان
جلس .

تناول حوار كسرهما نصفين ، وارخ
ليوم بالتاريخ الهجري ، ثم كتب في
سط السبورة :
أبيات لعمر بن معد يكرب الزبيدي " ،
التفت اليينا ، وأنشد بنبرة خلسوة ،
القاء بديع قصيدة الزبيدي التي لاتزال
راية مرفرفة في سماء ادبنا العربي في
مختلف عصوره ، أنشدها كلها بتأن وروية
وتؤدة ، وكان يضغط على كل حرف ، في
كل كلمة فيها ، وعلى حرف الدال ، روى
القصيدة بشكل خاص . . ولا أزال اذكر ،
حتى اليوم ، صورته الحلوة ، ووقفته
البارعة ، وانشادة الجميل لهذه الابيات
أذكر ذلك ولا انساه ، ولن أنساه ، لما
في الابيات من حلاوة تعلوها طلاوة ، وغزل
محبب محبب ، وكبر عربي أصيل ، وتفنن
بالشجاعة التي هي أرفع مزايا العربي .

لس الجمال بمثزر
فاعلم و... ربييت بـ...
ان الجمال مع...
ومناقب اورشـ...
أعددت للحدثان سـ...
بغة وعـ...
نهدا ذا شطب يقـ...
وعلمت اني يوم ذاك منازل كعبا ونهدا
قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقد
كل امرئ يجري الـ...
يوم الهياج بما استعدا
لمارأيت نساء نـ...
يفحصن بالمعزاة شـ...
وبدت لميس كأنهـ...
بدر السماء اذا تبيـ...
وبدت محاسنها التـ...
تخفى وكان الامر جدا
نازلت كبشهم ولـ...
أر من نزال الكبش بدا
هم يندرون دمي وانذر ان لقيت بان اشدا
كم من اخ لي صالـ...
بواتسه بيدي لحـ...
ما ان جزعت ولا هلعت ولا برد بكاي زندا
البيته أشـ...
وخلقت يوم خلقت جـ...

أغني غناء الذاهبين اعد للاعداد ٦٦ عدا
ذهب الذين احبهم وبقيت مثل السيف فردا
حتى اذا ما انتهى من تغنيه بهذه
الابيات قدم لنا باسلوب جميل مبسوط
معانيها ، وشرح لنا كلماتها الغريبة
وسجلها على السبورة ، ثم عاد فأملأها
علينا ، وطلب اليينا ، وللمجرب يقسرع
ايذانا بانتهاء الحصة ان نستظهرهنا
كلها الى مثل ذلك اليوم من الاسبوع
القادم .

ورفض استكمال اجراءات التصديق على
معاهدة عام ١٩٢٦ ، مما دفع برئيس
الجمهورية السورية انذاك الى الاستقالة .
فرد الفرنسيون على ذلك بحل مجلس
النواب ، وعلان الاحكام العرفية وتعيين
حكومة من عملائهم اداروا بها البلاد
بصورة مباشرة .

كان عمر يحيى في تدريسه لنا هذه
الابيات القديمة الجديدة والتي تتفجر
عروبة وكبرا وجمالا ..

كأنه بذلك يرد على هذا الجو من
الفكر السياسي الذي يحيط بنا ، انها
وقفة المجد العربية في وجه المعاب ،
الوقفة التي لا ترقع ، ولا تستخذي ، بل
تقول للندنيا ، عربا كنا ونبقى عربا ،
وتنشد مع عمرو بن معد يكرب ابياته
وفيها : ان الجمال اخلاق كريمة واعداد
ليوم الملحمة ، وقراع الاعداء اقوى ما
يكون القراع ، ومنازلة الاقران في
ميدان الوغى ، والدفاع عن الحمى ،
احسن ما يكون الدفاع ، فلا خسوف ولا
جزع ولا ارتداد ، بل نزال وصبر وقتال ،
وقلب كبير يجمع الانفة والشجاعة والحب ،
حالميين التي تبدو كبد السماء اذا
تبدى .

عرفت عمر يحيى ، ابا طريف ،
منذ تلك الايام ، كنت القاه في سنوات
دراستي الثانوية السبع عن بعد ، ثم
أتيح لي اخيرا ان ادرس عليه الادب
العربي في السنة النهائية ، وكان ذلك
في عام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ الدراسي ..
وكان عاما خصبا ، عشنا فيه مع استاذنا
ومع الادب العربي ، من بداية العصر
العباسي الى نهاية العصر الحديث ..
وهنا كان مجاله الارحب ، وهنا كان له
القدح المعلى ، وكانت سعادتنا ، نحن
عشاق الادب ، لا توصف وفائدتنا ، نحن
طلاب الفرع الادبي اكبر من ان نثمن ،
كان عاما خصبا ، حفظنا فيه الاف الابيات
وقرأنا فيه مئات المصادر ، وبنينا
فأحسنا البناء ، وانتهى بنا العام ذاك
الى ذخيرة من النصوص الادبية لا أغلى ولا
ثمن منها ، والى ثروة من المعارف
النقدية لا اغنى منها ولا ارفع .

وعرفنا فيما بعد ان عمر يحيى
لم يكن استادا ناجحا فحسب ، ولا متدوقا
للادب يجيد التذوق ولا حافظا متقننا

لم يفتنا ثقل الواجب السبذي
القاه على كواهلنا ، فنحن لم نتعود
من قبل سوى استظهار الابيات الخمسة من
كل قصيدة وهذه سبعة عشر بيتا .. الا ان
الجو الذي وضعها فيه استاذنا الكبير ،
وما تحمل الابيات نفسها من سهولة واناقة
في اللفظ ، وسمو وروعة في المعنى ،
دفعنا الى استظهارها كلها ، والى
الاعجاب بها ، والى بقائها في ذاكرتنا
حتى اليوم .. ثم الى الاعجاب بهذا
المعلم الذي نراه لأول مرة ، فنراه على
ما عهدناه دائما ، يكاد يستظهر ديوان
الشعر العربي كله .

ويلقي الشعر اجود القاء فكانما
يتغنائه ، فضلا عن احترام مشوب بالرهمة
يزرعه في نفوس طلابه ، وزرع لأطيب القيم
العربية ، وأحلى الكلام العربي في عقول
طلابهم ، وقلوبهم ، وضاميرهم .
وعجبا ، وكنا في الثانية عشرة من
العمر ، لمثل هذا الشعر يدرس لطالب
في اوائل المرحلة الثانوية ، ولاختيار
استاذنا لقصيدة جاهلية يفتح بها عامه
الدراسي ذاك .. وعندما تقدم بي العمر ،
وفهمت عن الدنيا اشياء واشياء ، وتذكرت
الايام التي املى فيها عمر يحيى علينا
ابيات عمرو بن معد يكرب هذه ، وتذكرت
خاصة الجو السياسي الذي كان قطرنا
يعيشه ، والحرب العالمية الاولى التي
كانت قد بدأت منذ شهرين .. عندما
تذكرت ذلك فهمت الاسباب التي حدت بأبي
طريف الى اختيار هذه الابيات واملائها
علينا ، ثم طلبه اليينا ان نستظهرها .

كانت سورية في تلك الايام تحست
الانتداب الفرنسي الذي ران بكل كلسه
عليها ، ذلك الانتداب الغبي (١) الذي
سلم لواء الاسكندرونة الى الأتراك ضاربا
عري الحائط بمهمة الاحتفاظ على التراب
العربي التي اوكلتها اليها عصبة الامم ،

للشعر العربي فقط ، بل هو الى ذلك
شاعر كبير .. استمعنا اليه في احتفال
أقيم في المدرسة ، بذكرى شهداء ايار
وكان ذلك في عام ١٩٤٤ ، الشهداء العظام
الذين يقول فيهم :

في سبيل العلياء والحق ركـب
ما استطابوا العيش الخفيض المذلا
شهداء الاوطان ماتوا ليحيوا
في قلوب الابناء كهـلا وطفـلا
ذكرتهم اوطانهم في شجاهـا
ودعتهم فأخلصوا الحب قبـلا
ومراد الاوطان اعظم من ان
تدعي الحب ان تحاذر قتـلا
شهد الله ان ذكرى رداهم
في حنايا الضلوع هيهات يبلى
أورثوا المجد حسرة حين باتوا
عن حماهم واستوطنوا الخلد ظلا

واستمعنا اليه يرثي استاذنا
انور الطرابلسي الذي اغتاله جنـدي
احتلال اوسترالي غدرا :
يا للشباب الحزين من نـحـوة
رأيته وهو غارق بدمـه
مبتسم والدموع جارـية
ذوب قلوب شـكت مدى ألمـه
يهزأ بالدهر في تعاطمـه
الم ترعك ابتسامة بـفـمه ؟
تلك الاماني ما كان أنـصرها
يلقى مداها عليه وفي نـغمـه
تلك الروى يا للفجـعة فـي
شرح الصبا حالت الى عدـمـه
يا حسرة لا يكاد يحملها
قلب يقاسي السهاد من ضـرمـه

واستمعنا اليه يتغنى بالـجـلاء ،
مساء السابع عشر من نيسان من عام ١٩٤٦
مساء اليوم نفسه الذي خلت منه الديار
من كل اجنبي دخيل ..
شق جيب الليل عن بيض الاماني
فاخفقي يا رايتي بين المقاني
واشمخي فوق السهاد رفافـة
انه صبح سرى سامي المعاني
أشرق الحق على مفرقـه
هالة النار وتخليد الزمـان
ومشى نيسان في موكبـه
باسم الثغر يعنيـه التهانـي
بهجة الفجر والحنان الضحـى
ونشيد المجد يسمو باتـزان
وصلاح الدين في جـفـه
عارض الرمح على ظهر الحصان

يلسح التاريخ في نظـرتـه
بنسمة الظافر في الحرب العوان
سنتظ الباغي على أقدامـه
دامي الجرح سـقوط الـافـعـوان

هذه الروى ارتدت سندسـها
وغدا الورد نجـي الـاقـحـوان
يا رياضاً طيب رياها غـدا
وتر الفن وترجيـع البيـان
ترقص الاحلام في ظل الهـوى
وتعاطي شربها خمـر الدنـان
غمغمات من غـرام وروى ..
ساحرات نـفـحات من حـسان
الحمى جن بأعراس العـلى
والمنى افتتت سرورا عن جـمان
مهرجان رفرقت راياتـه
أين من الحانه عزف القيان ؟
بسم الدهر له وابتـسـمت
امه شكلى بـرد الصولجـان

فعمر يحيى شاعر كبير ، اجتمع
في شعره صفات الشعر العربي الجيد في
العصر الحديث .
عاطفة متأججة تعبر عن نفسها بأسلوب
ظلي في ميادين الوصف والغزل والحكمة
وبأسلوب قوي جزل رأيناه منذ قليل فيما
قرأنا من ابـيات الشعر القومي ..
وستمع اليه يقول في عاشق الورد :
عاشق الورد قام في أفنانـه
يتغنى بالعذب من الحانـه
نسمات الاسحار تحمل عنـه
نفحات الهوى الى وسنانـه
وعيون النوار ترنو اليـه
مخضلات بالدمع من أشجانـه
مصفيات ترف شوقا ووجـدا
كلما جد ممعنا في افتتانه
وجمال الربيع يصبي قـلـوبـنا
طالما تدثرت بطيب زمانـه
بعد نوم الشتاء يخلع زهر الروى
عنه المنام عن أجفانـه
وعلى السهل روعة الحس والحز
ن يقيم الجمال في اركانـه
تلك شمس الضحى تجر ذيوـلا
فتعلل بوارفات الامـاني
من جمال الى جمال فخل اليأس
واجنح الى مراد الحـسان
كل عيناء تستشير منى القـلب
وتحیی كوامن الانسـان

ونقرأ من رسالة الورد اليها :

اذهبي يا وردة الروض البهية
واحلمي مني ما اشكو اليها
من أخلت بعهودي وازدهت
بشباب ذابل بين يديها
يا لهاحلمها جميلا كلمنا
لاح خذ الفجر ابكاني عليها
واذا النجم تبدي موهنا
خلتني انظر فيه مقلتيها
ذاك عهد قد مضى أذكره
والاماني تزدهي في شفتيها

وعمر يحيى من مواليد عام ١٨٩٩ م
من مدينة حماه ، وفيها تلقى علومه
الابتدائية ثم اتمها في المدرسة
الصلاحية في القدس ، الا ان الكتاب
مدرسة ابي طريف الاولى ، فلقد كان
قارئا نهما ، لا تراه الا وفي يمينه
كتاب يطالع فيه اينما حظ به المسير
حتى ليعرف شخصه من هذه الحلة (٢) .
وكان يلم باللغات التركية والفارسية
والافرنسية ، وقد عرب عنها بعض
المقطوعات نثرا وشعرا (٣) .

درس في مدارس القطر في ظل
الانتداب ، ثم ارتحل الى البحرين
فدرس في مدارسها فترة من الوقت الا ان
المستعمرين الانكليز خافوا على الناشئة
مما يعلمهم اياه فنفوه الى الهند في
عام ١٩٣٠ ، وقد اشار الى ذلك في قصيدة
مشهورة قال فيها :

ارض تفيأها الوفاء فحسبها
فخرا لو ان شيوخها حكامها
اين العروبة والاباء يظلمها ؟
يوم الكريهة رتعا آرامها
لم يبق منها غير رسم دارس
رفت على ارجائه الامها

قالوا الى الهند المسير فأنتم
غرباء في البحرين لا ارحامها
مرحى وأما الانكليز فانهم
أهل البلاد واهلها ايتامها
الواغلون الشاربون دمائها
الخاصون لها وهم هدامها
والارض ان نام الحماة يكون من
حظ الذئاب العاملات سوامها
ضاق المغير بأن نهيب بشعبها
ويود ان لو لم يفق نوامها
ورأى بنا ظمأ الى ايقاظها
من نومها فأمضه اقدامها
ثم عاد من المنفى ، فدرس حينها

في حماه ، ثم في تجهيز حلب الاولى بين
عامي ١٩٣٥ - ١٩٤٩ عين بعدها مديرا
لهذه الثانوية (تموز ١٩٤٩) فمديرا
لمعارف حماه بدءا من عام ١٩٥٠ ثم
مديرا لمعارف حمص ، وفيها احيل على
التقاعد في عام ١٩٦٢ ، الا انه اتم
مهمته التعليمية مدرسا للادب العربي في
ثانوية الاخوة المريميين الى عام ١٩٦٦ ،
تفرغ بعدها لتدريس مادة النحو العربي
بقسم اللغة العربية من كلية الاداب
والعلوم الانسانية ، الى ان اقعدته
الشيخوخة عن العمل بدءا من عام
١٩٧٤ حين امضى السنوات الاخيرة من حياته
مكبا على المطالعة وعلى استقبال
تلاميذه وطلابه ، والاجتماع بالخاصة منهم
في جلسة اسبوعية كانوا يقرؤون فيها ،
عليه ومعهم ، احد الكتب القديمة .

في العاشر من شباط ١٩٧٩ ، اشتد
عليه المرض ، فحمل الى مشفى جامعة
حلب ، ومنه نقل الى مدينة حماه التي
توفاه الله فيها يوم الرابع عشر من
ذلك الشهر .

كانت المدينة هذه ، قد كرمته
التكريم اللائق في شتاء عام ١٩٧٨ ، .
فأقيم له مهرجان تحدث فيه الكتاب
والقى الشعراء ابحاثا وقصائد تناولت
جوانب الابداع فيه . .

كما اقامت له كلية الاداب فسي
جامعة حلب حفل تأبين كبير ، مساء
الرابع عشر من نيسان عام ١٩٧٩ ، وقد
اشاد الذين اسهموا في تلك الامسية
بمزايا الفقيه مرييا وشاعرا وانسانا . .

- ٦ -

نشر عمر يحيى بعض الابحاث الادبية
في المجلات ونشر شعرا كثيرا في الصحف
وفي المجلات الادبية السورية واللبنانية
واصدر ديوان شعره الاول (البراعم)
في عام ١٩٣٦ ، ثم جمع ما تناثر من
شعره ، وقدمه لوزارة الثقافة التي
تبنت امر نشره في جزئين ، صدر اولهما
في عام ١٩٨٠ ، ولا يزال القراء ينتظرون
جزأه الثاني ، وينتظر ان يكونا فسي
حوالي ثمانمئة صفحة من القطع المتوسط .

وذكر ان له مجموعة تراجم ومقالات
وكتاب اللحية ، ومجموعة محاضرات
ورحلات ، وكتاب تبسيط العروض ، وكتابين

في النحو والاملاء ، ومجموعة من القصائد
المتجمة لشعراء فرسسيين واتراك وفرس
(٤) .

- ٧ -

وماذا يبقى من عمر يحيى ولعمر
يحيى ؟

يبقى منه ديوانه وهو يستحق
دراسة خاصة نعد بان نعود اليها والجانب
الانساني الذي عرفه اصدقائه وطلابيه ،
ثم ما غرس في نفوس طلابه من حب للتراث
وللشعر منه خاصة ، وتذوق لجيد القول ،
وهذا الوجدان الحي الذي بدأ به عمله
المهني مدرسا حي الضمير ، وعاش معه
طوال سنوات تعليمه ، لم ينقص بل كان
يزداد مع مرور الايام ، وان انسى لانسى
حرصه على ان نكتب الوظائف ، وقيامه
بتصحيحها بنفسه التصحيح الدقيق الواعي
ولا ازال احتفظ بوظيفة كتبتها عن ابي
تمام في اربعين صفحة من القطع الكبير
شرحا لقول أدبي فيه (واما الطائي
حبيب ، فمتكلف الا انه يصيب ، ومتعصب
لكن له من الراحة نصيب ، شغفه
المطابقة والتجنيس ، جيد ذلك اوبيس
مدحه ورشاؤه ، لا غزله وهجاؤه)

اجل وظيفة في اربعين صفحة ،
قرأها بنفسه وابدى رأيه في كل كلمة
فيها .

واهم من ذلك عروبة في الخلق
تحمل نفسا كبيرة تأبى الذل ، واعجاب
بماضي العرب وتراثهم ، وايمان صحيح
بان الشعر ديوان العرب .

لقد عاش كبيرا ومات كبيرا ، وترك
بعده من الاثر ما يتمناه كل معلم ، وكل
شاعر وكل عربي .

هوامش :

(١) - التسمية لاستاذنا جان غولميه في
مقدمة روايته الاخيرة الصادرة في صيف
العام الماضي ١٩٨٦ بالفرنسية .

(٢) - قدرني العمر ، مقدمة الديوان
طبعة وزارة الثقافة دمشق ١٩٨٠ ص هـ

(٣) - سامي الكيالي ، الادب العربي
المعاصر في سورية ، القاهرة ١٩٦٨ ص :
٣٤٠ - ٣٤١ .

(٤) - سامي الكيالي ، المصدر السابق ،
ص ٣٤١ - ٣٤٢

(٥) - لابن شرف القيرواني في رسائل
الانتقاد .

مزروعة بالحنطة والامل والمواسم ..
أحلامها .. خائفة
من يقظة الصقيع
صولة .. الجفاف
لعنة .. الجراد ..
شفاء الماعز ..
احتباس الفرغ ..
ولهفة اطفالها المشرورين
فوق الدروب الساخنة ..

سلميه

/ تمرمش / وجهها المشوي
من لفح تموز ..
قلبيها .. تائه ، هيمن
يستوطن المحل عروقيها ..
يسكنها .. القهر
يابسة تنورتها العشبية
تتناوق من أكتافها الفصول
أرملة .. / شرحتها / الذكريات ..
تقلب اوراق التاريخ
كما .. يقلب المحقق
أوراق مقهم .. عريق ؟

سابلها كابية بين أغمارها ..
يفرطها النمل ،
يجرجرها .. مدماة على الحصى ..
كما .. تجرجر فاجرة .. ،
تخرب زينتها ..
في ليلة .. عامرة
بالفرح والانيين .. ؟
/ يقرط / صدرها الحنوز ، المندى ..
بحبق الحواكير
عبق البابونج ،
والنعناع والزعتر والشيخ ،

سالمية

شعر: خضر عكاري

سلميه .. الغافيه ..
بين البحر والبادية ..
تفرد .. جداولها للريح ..
تتنهد
تتململ
أقدامها الحافية ..
في نرق الرمال ،

مينيقية الارداف
تتهيب طلعة الامواج
وشوشة النوارس
روعة .. الفداء ..
يا أسف الزمان ..
معصوبة العينين ،
/ رمدانة / .. ؟

تنام على جراحها .. ،
تصحو .. على نزييفها ،
تتأفف من تأوهات المطر ..
واختناق الثلج بين هضابها

وتأوهات البيلسان ،
وروعة .. الأرجوان
تنحنح .. الزيزفون ؟ ..

سلميه ..
تخاف من عاديات الدهر / جفلانة / ..؟
تحتضن المرارة ..
تدغدغها السيول
تمازحها رياح الشمال
/ تنعس / على وسادتها الهموم ..
عنابرها .. تتضرع ،
تتوسل ، " فالق النوى " ؟

سلميه ..
/ حردانة / .. بيارها
ضحكة .. قنواتها ،
غمزة .. حقولها ،
تدفق .. حواصلها ،
بالحنطة والزبيب -

متى تعود .. تضارة الحياة ..
أغنية السنونو ؟
ويزهر .. العز
في قمات جبالها ..
المسيجة بالهمم ..؟

سلميه ..
قصيدة .. ملفلفة ..
بالحزن .. والغبار ..
يحوفها .. الخطر ..
كزخة .. المطر ..
تلملم .. أطرافها المهاجرة ..
تشعل موقد سموخها ..
تنمنم .. الحكايات
تطرز .. المواويل ..
وعلى .. ركبتها المتورمتين ..
تغفو .. الزغاليل ،
حالمة .. بعطاءات الفصول
تلبس / مزوية / الحياة
وقمبازا .. من الصهيل ..

سلميه .. المرار ..
في هودج الايام ..
مشنلة بالامنيات
لكسن ..

يا أسف الزمان
شاردة .. في عطش المكان ..
/ ينوشها / الغبار ..

سلمية : مدينة الشاعر

تسمية الكوميديا الالهية

دانتي ١٢٦٥ - ١٣٢١

الياسر سعد غالي

طالما ان دانتي نفسه قد سُمى
ملحمة الالياذة لفرجيل تراجيديا
اي مأساة لان المأساة ، في نظره
تكتب بانشاء راق (٣) . و قيل ان
لا شأن للكوميديا هنا بالمسرح
انما ترمز الى نهايتها السعيدة
فموضوعها رحلة الى العالم الاخر ،
الى الجنة عبر الجحيم والمطهر ،
وقيل لقد اقتضت هذه التسمية
نوعية هذه القصيدة التي بدأت
بالابتئاس وانتهت نهاية سعيدة
(٣/١) اما دانتي فقد سُمى
منظومته " كوميديا " فقط (٤) في
رسالته الى كانكراندي دلا سكاللا ،
وفي الجحيم (٤) و سماها ايضا :
القصيدة المقدسة التي مدت لها
يدا السماء والارض واتحفت جسمه
سنوات طويلة (٥) .

أهدى دانتي كانكراندي دلا
سكاللا الجزء الثالث من منظومته
الخالدة " الفردوس " برسالة
طويلة جاء فيها : " هنا تبدأ
كوميديا دانتي اليفييري الفلورنسر
الاصل لا الاخلاق " (١) ولا خلاف على
هذه التسمية فيما بين المؤرخين
والباحثين . انما خلافهم يدور
حول ظهور عنوان هذه المنظومة
المشهور اليوم بـ " الكوميديا
الالهية "

فما العنوان الذي اختاره
دانتي لهذه المنظومة ؟ لقد كانت
كلمة كوميديا تعني عند الاغريق :
أغنية بلغة العامة يتغنون بها
وتجري على اللسان من غير تكلف
ولا تصنع (٢) . وقيل ان الكوميديا
تكتب بانشاء وسط ودون الوسط

اما نعت هذه الكوميديا
" بالالهية " فقد اهتم له بعض
الباحثين الغربيين ، والى القارئ
اهم ما توصلنا الى معرفته :
لقد روى الناشر بول برودار
في مقدمة ترجمة الكوميديا الالهية
الفرنسية لارتودو مونتور (٦) ان
اول طبعة لكوميديا دانتي نشرت
في أملاك الكنيسة في فولينيو في
الشهر الرابع من عام ١٤٧٢ بعنوان
" كوميديا دانتي الليغيري من
فلورنسا

وفي عام ١٥١٢ نشرت في البندقية
طبعتها الرابعة والعشرون بعنوان:

وفي عام ١٥١٦ ظهرت طبعتها التاسعة
والعشرون وهي تحمل عنوانها
النهائي المشهورة به حتى يومنا
هذا " الكوميديا الالهية (٢١)

وقد نشرت في البندقية ايضا عام
١٧٥٧ طبعة جديدة تحتوي على اغرب
مجموعة رسوم واهدت الى اسبرطورة

روسيا اليزابيت بيتروفنا بعنوان
الكوميديا الالهية لدانتي .

والنعت " الالهية " الذي
اضيف الى العنوان الاصلي اوحى به
فيما بعد القراء والناشرون اما
بالنظر الى قداسة موضوع هذه
الملحمة وسمو جمالها واما بالنظر
الى فقدان مثيل لصفاتها بترغيب
من بوكاس ، وقيل ان بوكاس هو
اول من وصف الكوميديا بالالهية
فعرفت منذئذ في الغرب بهذا
العنوان (٨)

وفي عالمنا العربي تحير
ادباؤنا وكتابنا العرب في تسمية
" كوميديا " دانتي باللفظة
العربية ، ولهذا اطلقوا عليها
أكثر من خمسة عشر اسما سنشير
اليها لا على سبيل الحصر . قد
يكون الدكتور مصدق صالح اول من

ذكر في مجلة جيش الشعب الدمشقية
ان عبد الرحيم احمد اول عربي
قدم كلمة امام اعضاء مؤتمر
المستشرقين المنعقد في باريس
ما بين ٥ و ١٢ ايلول ١٨٩٧ ، اشار
فيها الى حصوله على مخطوط من
رسالة الغفران وقال عنها : انها
مؤلف ثلاثي يشبه تقريبا مؤلف
" دانتي " (٩) . وكرر الدكتور
صالح هذا القول في مقال له
بالفرنسية ظهر في نشرة المعهد
الفرنسي بدمشق (١٠) ، لكنه اغفله
في كتابه " كشاف مصادر دراسة ابي
العلاء المعري (١١) مرة وعاد
وذكره في هذا الكتاب (١٢) كما
ورد في مقاله الاول في مجلة جيش
الشعب (١) حيث جاء ايضا قوله :
وهكذا لم نجد من تكلم عنها (اي
رسالة الغفران) في اوربا قبل
المصادر الشعرية للكوميديا
الالهية (١٣) ولم يذكرها
دانكونا ولا بلوشيه في كتابه
" المصادر الشرقية للكوميديا
الالهية " .

وفي عام ١٤٠٤ ظهرت ترجمة
سليمان البستاني لالباذة هوميروس
الذي قال في مقدمتها : " ان من
احسن ملاحم المولدين ملحمة نثرية
الا وهي رسالة الغفران لابي العلاء
المعري جمع فيها صاحبها شتى
المعاني ، واوغل في التصور حتى
سبق ملتن الانكليزي ، ودانتي
الشاعر الايطالي الى بعض تخيلاتهما
(١٤) ، لكنه لم يذكر كوميديا
دانتي بأي اسم .

وفي عام ١٩٠٧ قارب جرجي
زيدان بين رسالة الغفران وماكتبه
دانتي فقال : ان ابا العلاء تخيل
رجلا صعد الى السماء ووصف ماشاهده
هناك كما فعل دانتي شاعر الطليان
في روايته المسماة " الرواية

الالهية " وملتن الانكليزي في ضياع الفردوس . لكن ابا العلاء سبقهما ببضعة قرون فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه (١٥)

وللمستشرق غولد تسيهـر (جلد زهير) رأي استشهد به كامل كيلاني يعود الى عام ١٩١٠ جاء فيه : ان سفر (رسالة الغفران) لا يقل عن ان يوصف بانه " غاية متقنة " او انضاج لفكرة " الكوميديا الالهية " (١٦) ويبدو من التسلسل التاريخي ان غولد تسيهـر اول مستشرق اوروبي قرن رسالة الغفران بالكوميديا الالهية والثالث بعد عبد الرحيم احمد وجرجي زيدان من العرب (١٧)

وفي عام ١٩١٤ قدم الدكتور طه حسين افضل كتاب علمي عن ابي العلاء الى الجامعة ونشره عام ١٩١٥ وقد قال في مقدمة طبعته الثانية انه يعيد نشر هذا الكتاب في سنة ١٩٢٢ على صورته في سنة ١٩١٤ ، لا مغيرا ولا مبدلا .

وقال في الصفحة ٢٣٩ منه : "الفرنج يشبهونها (رسالة الغفران) بكتاب دانتي الطلياني الذي سماه

وكتاب ملتن الانكليزي الذي سماه " الجنة الضائعة " (١٨) وقال الدكتور طه حسين في مقدمة الجزء الاول من رسالة الغفران طبعته الكيلاني الثانية : شبهها (رسالة الغفران) قوم بحديث دانتي وربما وفقوا في هذا التشبيه ، وزعم قوم ان " دانتي " تأثر بها في حديثه ولعلمهم قاربوا الصواب في هذا الزعم ولكن هذا كله لا يعني اني الان وانما يعني حين اضع كتابا خاصا ندرس هذه الرسالة درس علميا ، كل هذا لا يعني اني الان (١٩)

لكن هذا الكتاب الذي وعد به الدكتور طه حسين قراءه ما رأى النور لسوء حظ الادب (وكسر الدكتور طه حسين قوله : " الفرنج يشبهون رسالة الغفران بكتاب دانتي الطلياني الذي سماه :

(٢٠)

ولو قرأ الدكتور طه حسين كتاب دانتي او حديثه كما وصفه ، لما كان قال ان دانتي سماه :

بالفرنسية ولما كان تركه بلا ترجمة اكثر من مرة ، في حين انه ترجم على الاثر الى العربية اسم كتاب ملتن (الجنة الضائعة) .

وترجم عبود ابو راشد عام ١٩٢٦ " لاديفينا كوميديا " للشاعر الايطالي دانتي اليغيري التي العربية بعنوان : " الرحلة الدانتية في الممالك الالهية (٢١)

وقال عبد العزيز اليميني الراجوتي في مقدمة رسالة الملائكة لابي العلاء المعري التي حقها بكتابه " ابو العلاء وما اليه (١٣٤٥ / ١٩٢٦ : وما ملتن الانكليزي صاحب الفردوس القابر الا من اتبع " ابي العلاء في رسالة الغفران وزاد في الحاشية (١٩) ومثله شاعر الطليان دانتي في كتابه : جهنم (١٩ / ٢٣)

وقد سمى " قصيدة دانتي " محمد كرد علي : رواية دانتي ، الرواية الالهية ، المهزلة الالهية (٢٢)

١٩٢٧ قسلاكي الحمصي : قصيدة ، الالعوبة ، الالعوبة الالهية (٢٤)

١٩٧٢ عبد الكريم اليافي : ملهاة (٢٥)

- ١٩٧٢ حسام الخطيب : ملهارة دانتي
الملهة الالهية (٢٦)
- ١٩٨٤ اغناطيوس سعادة : الملهة
الالهية (٢٧)
- ١٩٣٢ ناشد سيفين : قصيدة دانتي
الكبرى ، الكوميديا الالهية
(٢٨)
- ١٩٦٤ محمد بدران : المسلاة الالهية
(٢٩)
- ١٩٣٨ امين ابو شعر : جحيم دانتي
الاغنية الخالدة الالهية ، الكوميديا
الالهية (٣٠)
- ١٩٤٤ محمد مندور : كوميديا
دانتي ، الكوميديا الالهية (٣١)
- ١٩٣٥ كامل كيلاني : الكوميديا
الالهية (٣٢)
- ١٩٢٨ عبد اللطيف الطيباوي :
الكوميديا الالهية ، الالعوبة (٣٣)
- ١٩٥٦ مصطفى ال عيال : الكوميديا
الكوميديا الالهية (٣٤)
- ١٩٣٦ دريني خشة : الكوميديا
الالهية (٣٥)
- ١٩٢٥ عبد الرحمن صدقي :
الكوميديا الالهية (٣٥)
- ١٩٤٤ عمر فروخ / الكوميديا
الالهية (٣٦)
- ١٩٥٤ بنت الشاطيء : الكوميديا
الالهية (٣٧)
- ١٩٥٩ و ١٩٦٤ و ١٩٦٩ حسن عثمان :
الكوميديا الالهية (٣٨)
- ١٩٦٧ ابراهيم المويلحي :
الكوميديا الالهية (٣٩)

لم يشر الى مشكلة صفة
" الالهية " التي اضيفت الى
الكوميديا من الادباء العرب ،
في حد علمي ، سوى الدكتور حسام
الخطيب ومصطفى ال عيال و ابراهيم
المويلحي ، فحسام الخطيب قال :
سمى دانتي قصيدته الطويلة "ملهة"
دانتي اليغيري المنتسب الى

فلورنسا بالمولد لا بالشخصية .
وفيما بعد اضيفت صفة " الالهية "
على الملهة نظرا لقداسة
موضوعها من جهة وسمو جمالها من
جهة اخرى (٤٠) ، وقال مصطفى ال
عيال : اول من اطلق على الكوميديا
لقب " الالهية " كاتب معروف عاصر
دانتي ، صديقه بوكاشيو (٣٣) .
اما الاستاذ ابراهيم المويلحي
فقد ابدى رأيا طريفا وهاما في
هذا الوصف تجدر الاشارة اليه بل
التوقف عنده . .

قال الاستاذ ابراهيم
المويلحي في مقاله (٤١) : " ان
وصف الالهية لا يرجع الى روية
دانتي لله في السموات وانما هي
صفة تخلع مجازا في اللفظة
الايطالية - (وكذلك ايضا في
اللغة الفرنسية احيانا) على كل
ما يبعث الاعجاب والروعة لاتقانه
وكمانه . فتكون الترجمة الصحيحة
الكوميديا الرائعة او الممتازة لا
الالهية كما ظن اول ناقلها الى
العربية ، وقد تركناها كما سميت
لحلول الخلق انشاء مع
المشهور محل الصحيح المهجور .
ويذكر هذا القول بقول ابي العلاء
المعري :

وقد كان ارباب الفصاحة كلما

رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

٠ (٤٢)

والاستاذ ابراهيم المويلحي

اول من اشار عن العرب - في حد
علمنا - الى وصف دانتي ، بـ
" الالهي " (بصيغة المذكر) لا

الالهية ، (بصيغة المؤنث) -

لكوميدياه . وهو ايضا اول من
ذكر بالعربية في نشرة مطبوعة
ما جاء في مقدمة ترجمة ارتو دو-
مونتور الفرنسية (٤٣) بخصوص
ظهور اول طبعة لكوميديا دانتي ،

في مدينة فولينيو عام ١٤٧٢ بعنوان
"كوميديا دانتي اليفييري
الفلورنسي"

وان طبعتها الرابعة والعشرين
نشرت في مدينة البندقية عام
١٥١٢ بهذا العنوان : "دواوين
الشاعر الراحل دانتي" وركـز
الاستاذ المويلحي على صفة "الهي"
هنا مخلوعة على الشاعر دانتي
نفسه بمعنى الروعة والامتياز ،
واخيرا ، اي في عام ١٥١٦ ظهرت
طبعتها التاسعة والعشرون وهي
تحمل عنوانها النهائي : الكوميديا
الالهية
الذي اشتهرت به حتى يومنا هذا .

والاشارة الى ان رسم
دانتي هذا في الفاتيكان وانسه
من صنع رفائيلو تفيد ان تاريخه
يعود الى ما قبل وفاة هذا
الرسام الشهير رفائيلو عام
١٥٢٠

والشيء الملاحظ ان جمهور
كبار الكتاب العرب اجمعوا او
كادوا يجمعون على تسمية ملحمة
دانتي في العربية : الكوميديا
الالهية ، ولذلك يكون من
المستحسن الاقتداء بهم في
اعتماد هذه التسمية .

بقلم : الياس سعد غالي

هوامش

١- لا . بومبياني : معجم
المؤلفات ج ٢ ص ٥٩/١٩٥٢ - ط ٢/١٩٥٥
و ميلين بونان غاريك : دانتي ص
١٩٧٠/٨٢

- د . حسام الخطيب : الادب
الاوروبي تطوره ومذاهبه ص ٦٢/٩٧٢
٢ - فاضل كرومي : مجلة المسرة
(لبنان) عدد ٥١٤ / ١٩٦٥ ص ٢٧٣
٣ - الكسندر ماسورون : دليل
الكوميديا الالهية : تراجيديا
ص ١٨٦

والجحيم : النشيد ١١٢/٢٠ الحاشية
ص ١٧٣

٤ - دانتي : الجحيم النشيد ١٦/
١٢٨ - هذه الكوميديا
٢/٢١ - كوميدياي

٥ - دانتي : الفردوس النشيد
٦٢/٢٣ - القصيدة المقدسة
١/٢٥ - ٩ القصيدة المقدسة

- كورسيوس : الادب الاوروبي والعصر
الوسيط اللاتيني ص ٤٤٢/١٩٥٦
٦ - بول برودار : مقدمة ترجمة

ونشر لا . بومبياني (٤٤) ،
صورة لعنوان احدى طبعات
الكوميديا الالهية يعود تاريخها
الى عام ١٥٢٩ وقد جاء في مطلع
العنوان المشار اليه :
كوميديا دانتي اليفييري الشاعر
الالهي

ونعت شخص ب (الالهي) ورد حتى
على لسان دانتي نفسه الذي قال
في وصفه هنري السابح
اللوكسنبوري (٤٥) :

" القيصر الالهي العظيم الحقيقي

وقد زينت ترجمة دو
مونتور التي نشرت اول مرة عام
١٨١١ - ١٨١٣ واثاني مرة عام ١٨٢٨ -
١٨٣٠ برسوم طبعة البندقية عام
١٧٥٧ ، ومن تلك الرسوم ربما رسم
دانتي في اول ترجمة دومنتور
كتب تحته شيء يهم موضوعنا :
دانتي اليفييري الشاعر الالهي
الذي ولد في فلورنسا عام ١٢٦٠
وتوفي عام ١٣٢١ وهذا الرسم
لرفائيلو في الفاتيكان .

- ارتوردو منتور الفرنسية / ١٨١١ -
 ١٨١٢ ص و ١٨٢٨ - ١٨٣٠ ط ٢
 ٧ - - - ارنت كورسيوس : الادب
 الاوروبي والعصر الوسيط اللاتيني
 ص ١٩٥٦/٤٤٢ : نشرت منظومة دانتي
 في البندقية عام ١٥٥٥ بعنوان :
 الكوميديا الالهية " وعرفت بهذا
 العنوان منذ هذا التاريخ .
 - لا . بومبياني : معجم المؤلفات
 ج ٢ ص ٥٩
 ٨ - ميلين بونان غاريك . دانتي
 ص ٨٩
 - ارنت كورسيوس : الادب الاوروبي
 ص ٤٩٣ : بوكاس اول من وصف
 الكوميديا بالالهية
 - مصطفى ال عيال : سلسلة اقرا
 عدد ١٦٤ / ١٩٥٦ ص ٨٣
 - د . حسام الخطيب : الادب الاوربي
 ص ١٩٧٢ / ٦٢
 ٩ - د . مصطفى صالح : مجلة جيش
 الشعب الدمشقية عدد ١٩٦٩ / ٨٧٨
 ١٠ - د . مصطفى صالح : نشرة المعهد
 الفرنسي للدراسات العربية بدمشق
 م ٩٦٩ / ٢٢ و م ١٩٧٠ / ٢٣ ص ٢٠٢ رقم
 ١٦٥
 ١١ - د . مصطفى صالح : كشف
 مصادر دراسة ابي العلاء رقم ١٦٩ ص
 ١٩٧٨ / ١٥٢
 ١٢ - د . مصطفى صالح : كشف مصادر
 دراسة ابي العلاء رقم ٧١٥ ص ٢٨٤
 ١٣ - اوزانام كاتب فرنسي ١٨١٣ -
 ١٨٥٣ له كتاب بعنوان : دانتي
 والفلسفة الكاثوليكية في القرن
 الثالث عشر (١٨٣٩ وله كتاب :
 مصادر الكوميديا الالهية الشعرية)
 ١٤ - سليمان البستاني : مقدمة ترجمة
 الياذة هوميروس ج ١ ص ١٧٤ ، و ١٧٥
 ١٥ - جرجي زيدان : مجلة الهلال
 السنة ١٥ عدد ١٩٠٧ / ٥ ص ٢٧٩ - ٢٨٧
 - تاريخ الاداب العربية عام ١٩١٢
 ج ٢ ص ٢٦٢

- رسالة الغفران طبعة الكيلاني
 الثانية ١٩٢٥ ج ٢ ص ٧٢ و ٩٠
 - مصطفى صالح : الكشف ص ١٥٨ رقم
 ١٨٨
 ١٦ - كامل كيلاني : رسالة الغفران
 ط ٢ / ١٩٢٥ ج ٣ ص ٩٢
 ١٧ - الياس غالي : رسالة الغفران
 والكوميديا الالهية في لمحات
 تاريخية (مخطوط ص ٧
 ١٨ - د . طه حسين : تجديد ذكرى
 ابي العلاء ط ٢ / ١٩٢٢ ص ٤ و ٢٣٩ ،
 قدمه الى الجامعة عام ١٩١٤ ونوقش
 في ١٥ / ٥ / ١٩١٤ وصدرت طبعتهم الاولى
 في ٢٤ / ١٢ / ١٩١٥ والثانية عام ١٩٢٢ ،
 والثالثة عام ١٩٣٧
 - رسالة الغفران طبعة الكيلاني
 الثانية ج ٣ ص ٤٥ و ٧١ و ج ١ ص ٩
 - مصطفى صالح : كشف ص ١٦٤ رقم
 ٢١٨ الحاشية ١٣
 ١٩ - د . طه حسين : رسالة الغفران
 طبعة كامل كيلاني الثانية / ١٩٢٥ ص ٩
 ٢٠ - د . طه حسين : تجديد ذكرى
 ابي العلاء ط ٢ ص ٢٣٩
 - رسالة الغفران طبعة الكيلاني
 الثانية ج ٣ ص ٤٥ و ٧١
 ٢١ - عبود أبو راشد : الرحلة
 الدانتيية في الممالك الالهية
 " تعريب لاديفينا كوميديا
 ٢٢ - عبد العزيز اليميني
 الراجكوتي : ابو العلاء وما اليه
 - رسالة الملائكة ص ٢
 ٢٣ - محمد كرد علي : رسالة
 الغفران ط ٢ ج ٣ ص ٧٢ و ١٩٢٥ / ٩٠
 - محمد كرد علي : المعاصرون
 ١٩٨٠ ص ٣٤١
 ٢٤ - قسطاكي حمصي : مجلة المجمع
 العلمي العربي بدمشق ١٩٢٧
 منهل الورداد في علم الانتقاد
 ١٩٣٥ ج ٣ ص ٢٣٨ و ١٨٥ و ٢١٤ و ٢١٥
 و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٥
 و ٢٣٧ و ٢٤٤

- ٢٥ - عبد الكريم اليافسي :
دراسات فنية في الادب العربي
١٩٧٢ / ص ٣٦٨
- ٢٦ - حسام الخطيب : الادب الاوربي
١٩٧٢ ص ٦١ و ٦٢ و ٦٦
- ٢٧ - غناطيوس سعادة : التفاعل
الحضاري بين المسيحية والاسلام
في ابحاث اسين بلاسيوس ، مجلة
المنارة العدد ٣ / ١٩٨٤ ص ٥٥٥ و
٥٥٦
- ٢٨ - ناشد سيفين : المقتطف م ٨١
عدد ٢ - ١ / ٧ / ٣٢ ص ٢٠١ - ٢٠٥
- مصطفى صالح : كشف رقم ٢٨٩
- ٢٩ - محمد بدران : ترجمة قصة
الحضارة ج ١٤ ص ٣٥١ / ١٩٦٤
- ٣٠ - امين ابو شعر : جسيم دانتي
الاغنية الخالدة الالهية الكوميديا
الالهية (٤ / ٧)
- ٣١ - محمد منذور : الميزان
الجديد - ص ١١٨ و ١١٩ / ١٩٤٤
- ٣٢ - كامل كيلاني . رسالة الغفران
ط ٢ ج ١ و ٢ و ٣ / ١٩٢٥
- ٣٣ - عبد اللطيف الخطيباوي :
التصوف الاسلامي العربي ص ١١٠ -
١١٢ - ١١٨ و ١٢٥ / ١٩٢٨
- ٣٤ - مصطفى ال عيال : سلسلة اقراء -
دانتي ٦٥ و ٨٢ و ٩٥ و ١٠٠ و ١٠٤ و ١٠٦ / ١٩٥٦
- ٣٥ - دريني خشبة : الرسالة عدد
١٥٧ و ١٦٥ / ١٩٣٦
- ١٨٩ - مصطفى صالح : كشف ص ١٨٩ رقم
١٩٧٨ / ٣٠٣
- ٣٦ - عبد الرحمن صدقي : رسالة
الغفران طلعة الكيلاني الثانية
ج ٢ ص ٥٨ / ١٩٢٥
- ٣٧ - عمر فروخ : حكيم المعصرة
ص ٩٤ / ١٩٤٤
- ٣٨ - بنت الشاطيء : الغفران ص :
٣٢٦ و ٣١٩ / ١٩٥٤
- ٣٩ - حسن عثمان : ترجمة الكوميديا
الالهية في اجزائها الثلاثة ١٩٥٩ -
و ١٩٦٤ و ١٩٦٩
- ٤٠ - ابراهيم المويلحي : تراث
الانسانية م ٥ عدد ٨ / ١٩٦٧ ص ٦٢٤ و
٦٢٥
- ٤١ - حسام الخطيب : الادب الاوربي
ص ٦٢
- ٤٢ - تراث الانسانية : م ٥ عدد ٨ /
١٩٦٧ ص ٦٢٠ - ٦٣١
- ٤٣ - ابوالعلاء : سقط الزند
(التنوير ص ٢٨٥ من قصيدته في
رثاء ابيه
- ٤٤ - مقدمة ترجمة الكوميديا
الالهية لارتو دو منتور الفرنسية
- ٤٥ - لا . بومبياني : معجم
المؤلفات ج ٢ ص ٥٩ ط ٢ / ١٩٥٥
- ٤٦ - لا . بومبياني : معجم
المؤلفات ج ٣ ص ١٩٢ - دانتي :
رسائله .

متمرّاة.. على جدلٍ مهترئ

محمد زهير الباشا

رؤية ادبية :
لرواية : لينا .. لوحة فتاة دمشقية

تأليف الدكتورة سمر العطار
(استراليا)

صمم الغلاف : الفنان، الاستاذ ناظم الجعفري

قفزة في المستحيل ..

اقانيم، وتخلخت الاجيال .. فتاهت
الاوصاف لا للضياع فحسب بل للعودة الى
مسار هو مفسد ..

المعادلات خلال تلك الفترة .

القلم المتبحر في الغوص كشفاً وتعميراً
عن مزايا المجتمع ومكوناته في عملية
غنية هي الريادة في ولوجها الصعب من
الاحداث والشخصيات . هذا الصعب يتمثل
برؤية ادعياء التمسك بالتقاليد
وبأساليب الندب وحلقات متوارثة منذ
عهود التفكك .

وخلال هذا الغوص في الصعب تجد
المعتوه والمنجمة وقارئة الكف في
البيئة البرجوازية ذات الستائر المخملية
وروائح الاطعمة الغنية باللوز والفسق
والصنوبر ، على مسمع طبله يرقص عليها
قرد .

ومنهج الرواية سار على السرد الذاتي :

معتمدا على اساس الوصف المباشر
مرتكزا على الذكريات والاحلام والتطلع
الى غد ..

الفن ليس بحثا عن المتاعب فحسب،
بل هو جذوة المتاعب ومعاناة للقلب ..
لتصوير الاشواك المفتعلة في قردوس
الغد ..

وجاء الفن على يراع الدكتورة سمر
العطار قلبا يري وليس جفونا مخدرة ..
تبنت الزمن ارتجاعا من عهد الوحدة بين
سورية ومصر مسافة لم تتجاوز جيلين ..
فبحثت عن احلامها واغرقتها الكوابيس
وتخلصت منها بهذه القفزة في مستحيل
الجرأة على قول المشاعر التي تفرغ
الحقيقة حرصا وحذرا ، فلم تشأ ان تحدد
للمجتمع مناراته واضواءه وزخارفه - بل
حددت وجوده على ضوء الواقع .. كما هو
.. دون عجز او ملل .. فهذه القفزة
في عالم المستحيل ربما تشير الى ان
هناك اقتطاعا لكثير من اللوحات
الدمشقية تركتها مخطوطة لينت للنشر
وللبيان ..

صراع القيم سبيل التحرك نحو الافضل ..
انتقال الى الحلم ملاذ لكل قلم - حاصرته
التقاليد الراهنة فتوزع المجتمع البني

فتتداخل فترة الطفولة بالواقع فتأسرك
براءة لينا وحنان امها وتوقظ في النفس
مشاعر المشاركة فاذا ما استمرت في
حوارها جادلت وطرحت مفاهيمها على
لسانها وعلى لسان ريمما ثم على توجيهات
الرفيقة امل ..

منهج الرواية لم يكن على وتيرة واحدة
من اسباغ شرعية الفن عليه ..
كان فيه التداخل بين الماضي والحاضر ،
بين الجنة والماضي وبصفحة واحدة / ٢٣ /
فالتقطت صور (شقائق النعمان وكعبوب
الاحذية الرقيقة ، وقضم اطراف اصابعها)
وعلى (ثدييها نبتت حشائش بلبلون
الليلك) / ١١٧ /

ومما اتبعته الروائية اسلوب سرد
المذكرات اليومية / ٢٤٦ وما بعدها /
كل ذلك ليكون الرصيد الفني ذا قيمة
جمالية متكاملة ..

وبكلمة واحدة - مفردة - تصور
الحدث والشخصية ففي طيات الرواية
(عفاف) احادية اللون والموقف والعمل
.. وليس من السهل ان تتحرك امثال هذه
الشخصية (احادية اللون) الا بصعوبة
فاحكامها متهافتة متجلدة هائمة
بالوشايات تتشفي من الاخرين (تهمة
النسوة لابي امين) ..

فكثفت تصوير - الرصيد - حين
كثفت - احادية اللون والموقف - مما
جعل آفاق التحرك محدود الجوانب ..

وسمحت الروائية لببئلتها - لينا - ان
تجول وحدها غير مرتبطة بوحدة اللون
او الحديث وانما وظفتها على حساب
الزمن .. في طفولتها ومراهقتها
ودراسنها الجامعية ..

وما تعداد التعامل في الشخصية
البرجوازية الا وفق التعامل بالمرايا
المقعرة في وضع انتهازي وصولي غير
مبرمج لاي غد مجد او متفاعل .. فالهروب
من ازمة اجتماعية الازمة يتمثل في
هذا النحو المشير من المدنية السلي
الريف .. فكان ملاذ النفس التواقة للجوء
على ارض - من الطبيعة الصاقية - بلا
مجتمع او صراع متواشب .. لكن الانسان
الاحادي - السلوك لم يختلف اذ لا بد
للبطلة لينا من ان تلتقي (برشا ، دون
ان تنسى البائع على الرصيف : ابا امين)

والخيال في هذا الرصيد الفني
كان غنيا له القدرة على التفوق والتحرك
بحرية ، فيطوف ويحتج ويروود حتى يصل

بها الى نهر العسل والحليب (وابسو
هاشم بثوب طويل اخضر ٤٦) وهي الطفلة
التي تفزع من اي شبح قادم من المقبرة .
ليت البطلة استمرت بجباذعها فاعطت
الادب وضعا صوفيا لما استغنى اهـل
الصوفية عن الم الواقع وتلذذوا بهذا
الوجد المتسامي .. خاصة وقد تمثل لها
الله / ٤٦ / فالاشعاع - (الفني -
الخيالي) انساب قدرته ولطفتها
ودهاليزه وهبوطه مع السؤال على واقع
(لعب الاطفال) وعلى تاريخ البرامكة
(وكأنها تشاهدها ٨٧) وعلى قصي السف
ليلة وليلة التي كانت تروي على لسانها
لا على لسان (رشا) .

في هذا الرصيد الفني من خيالها
تنفس المتعبين من جور المتعاملين بمثقف
ونفاق فكان سمة نفسية لاضافة لكونه سمة
جمالية (٢٩٨) فانطلق خيالها وهـو
يتكفي على التداعي بالاقتران الزماني
او الاقتران المكاني (٣١٣) (٣٤٢) ،
فظل يتجول بحيوية ويتحرك فيأسرك بلغته
وتفاجأ بأنها اوجزت الكثير فلم تتترك
للخيال - اطلاقه - الدائم بل حصرت
وفق التداعيات - وكان هناك صور خيالية
احتفظت بها البطلة لنفسها ..

ويهمس لها الخيال فيحدثها
بالاصوات الغريبة من (فم ابريق الشاي
وهو يبقب) وترسم الدهاليز فأختها
(بهية تركض خلفها وتصيح كالضبعة ٢٠٦)
/ ٣٢٩ /

وتذكرها اساطير الف ليلة وليلة
بذلك (الحشاش الذي يدعو : اسالك يا
الله ان تغضب سيدتي على زوجها و ان
اجامعها ٢١٧) وينبثق خيالها من تلك
الكلمة - المفردة وحدها فتتهادى صورة
الخبز المرقوق وتقضم اطراف الخبز المحمص
(العلاقة بين رشا وامينة) .

فأروع الصور تبدأ وتضع على صفحة
الذكريات بعض نقاطها ثم تختزن وتترك ،
لرواية ان تسير باتجاه مرسوم ، دون
المزيد من العبث اللاهي .. وتختزل تلك
الصور التخيلية بتلوين لا يشبع النهم
من هذه الاوصاف ..

والتجأت احلامها الى نوع ممن
الكوابيس الحالمة ، فقد جسدت المطلق
وصورته وخافت من الموت وعاشت البطلة
اوهامه وتعلقت بكوابيس الف ليلة وليلة
/ ٦٣ / ثم انتقلت الى الام فرتر لشاعر
المانيا - غوته - وكان تلك الام تنفيس
ومهرب من هذه الضغوط الاجتماعية فكان
الحلم - كابوسا - هو الاداة الاولى

للاتصال فيما لا يمكن الوصول اليه . . وهو
البعد عما يزعج ويفضي . . فالصبر على
المكاره لا يعطي راحة ان ليم يرافقه
تبرير عقلي او تصوير بالحلم وباللغة ،
فكان الحلم وسيطا مبدعا حمل معه الافكار
والمعلومات واسرار الذات بشكل فني
متعدد . . فهو ليس قالبا من الرموز
بحاجة الى تأويل سحر وتفسير منجم . .
انه اشارة للمعاني باللغة والكلام (قطع
الفطر ، رؤوس تتناطح ، لحس شفتيه
بارتباك ، يبصم على الغسيل سراويل
النساء ، برم شاربيه / ٨ /)

■ والحوار . . ايضا . .

ارتباط الحوار بالحادثة والشخصية
كان ارتباطا وثيقا بأسلوب فني فهو
الاداة التي مثلت الشخصية العادية و . .
حوار هو المسؤولية لدى الشخصية الاحادية
والمثلونة والانتهازية . . جاء بالفطام
فصيحة ، واحيانا بتركيب عامي غير ركيك
او ضعيف . . فالحوار بتكثيفه وبالتعامل
مع على هذا الاساس اتسم بإمكانية الفهم
ونقل وتوثيق ما بداخل المتحاورين . .

وحوار الابطال والشخصيات . .
رواية الدكتور كشف عن فيكس مشعرهم
بغض النظر عما يوافق الهدف او يتصارع
مع ، ففيه فيض من اللاشعور على حدود
الذات او في منطلقات اللاوعي . .
■ انه الحوار ذو الجذور التي لم
تجنح الى الرمز الا في حالة اللجوء الى
الحلم الكابوس . . بل جعلته بتلويين
وتشويق قادر على استيعاب الحدث فكان
شديد التعبير او لينة او متهاديا معه ،
وفق نوعية الشخصية المتحاور . .

■ الحوار . . عينان متعلقتان بالحدث
وبأصحابه مردودا على سرد ذاتي بقدر
خصب الموقف . . فهو الذي صور مشاكل
ألوان وامزجة الناس في هذا المجتمع
المحصور رُميا دون البحث عن مصائر
اولئك المتحاورين . .

بعبارات مقتضبة او حادة او لينة
بمسيرة التصويب والتسيد . . فهي
مستقاة من الناس صاحبتهم ، او رافقتهم
فعرفت افكارهم واختارت ما يتلاءم والتخاطب
الموجز . .

■ وفارس احلامها . .
وجه الفارس كان يلاحق لنا من نصف عام
وجهه البريء اوصلها خيالها الى (فتر
وغوته) يرقب حركتها في اشد الاوقات

زمن الريح وفي قيظ الصيف واعتبرت . .
(رومي) المتشوق الى اعادة الرضا . .
والتذت بوحشية ثم سابقت الريح واستبد
بها الخوف والجنون فهربت / ٢٠٧ / اما
بقية الاوصاف - عن فارس الاحلام فظلت
غائمة سابعة في اعماق ذاتها . . فهو
مجرد حلم وصوبة . . ايكة عشق ، وملجأ
تهرب اليه وتتذكر نظراته بوجهه الشاحب
(وفي يده شباة صغيرة ، وملأت انفاسها ،
رائحة قميصه النظيف مختلطة بعطر زهر
النارنج ، امسك يدها ثم افلتها واقترب
منها . . وقرأت في عينيه الرماديتين
حكايا طفولية . . ثم أحست بشبهه يلاحقها

وسمعت ضحكاته الخافتة (١٠١)

وعاد اليها وجه الصبي يثير فيهما
الشهوة ومتاعبها وهي تتقلب بين الحب
والكره واحلامها مدينة تهدم جسورها

/ ٣٠٧ /

(وأسدل الستار وضجت القاعة بالتصفيق)
فالبطلة لنا مثلت دور ديدمونة (باردة
باردة يا حبيبتى - قال عطيل وكأنه
يغني ٣٠٩) .

■ الحلم واليهظة وعلى دفتـر
يومياتها رأت الصبي متوسلا وهو تغني
وامام روحه العارية شرعت تفحص افكاره ،
لقد احبته بصمت عبر ضباب الزمن (وسمعت
يقول لها بلهجة المستبد : انت حلوة . .

ثم تتوهج عيناه كالحريق) ٢٨٢

ولم تستسلم للحب وهي تواق (التي
الحرية . . ولم تجد اي تناقض بين الحرية
والحب ٢٨٢) .

وحلمت وحلمت على الامل ونافذة
الفضاء (اذا انشقت السماء وخرج منها
صبي صغير . . اشقر الشعر ،مورد الخدين
ثم سمعته يقول انا الضائع ٢٨٩) .

■ وفي عينيه الاحلام . . يقطع الزمن
بالبحث عما يعتلج بالنفس . . فتجمع بأن ،
قصة ديك الجن الحممي (وقتله للحبيبة)
وعطيل وقتله (لديدمونة) . .

فتبقى لنا قتيلة الهوى تتعذب ومن
(بعيد لمعت اضواء البيوت الرابطة على
سفح الجبل ٣٣٥ / وقراءة رشا حكاية
(الحشاش مع حريم الاكابر ٢١٦) .

■ ونسجت كلها بلغة غنية خصبة . .
فهي الاداة الطيبة التي سردت واوضحت
بخفة وسهولة معدن الحالات النفسية
والطبيعية وصفا وتصويرا للحياة بمنهج
روائي يتناسى مع الاحداث مع اضافات
الزمن التي عمر لنا .

الرصيد الفني في منهج الرواية . .

الاكتمال الفني درب عسير تمشي عليه خطوات اي فنان يبغى الكمّال - المطلق - والسمة الفنية في الرواية تبدو من خلال الرواية الفنية للبناء الهندسي الذي تطرحه مواقف الشخصيات وافكارهم وصراعاتهم ضمن اطر من حياة التكامل الفني نجده صفاء وتقنيّة متوازنة في رواية (جذور الفرح القادم للروائي احمد سنبل) حيث ينمو البناء مع الحدث بمنظور الفن الواعي من حيث توظيف المشكلات الهادفة الى تحقيق الفرح الموعود ..

ونجد التكامل الفني في رواية العرس للاديب حسن قياسي كتبها (من ارض المهجر - استراليا) قد اعتمد على الزخم في توالي الاحداث ، وعلى الاحتراق المضني لكل التقاليد العقيمة التي كانت تتحكم بالريف في نهاية عهد العثمانيين ..

* اما التكامل الفني في رواية الدكتورة سمر العطار ،

فنشر عليه متماسك الجوانب دون اي هبوط جزئي - او غير جزئي . في مستوى توالي احداث الرواية ، رغم مشاعر التلهف لمتابعة الغوص في افكارها يلاقي الكثير من الاقتضاب في الحدث . بل ان هناك (جزئيات او مقاطع) قد ابعدت عن الرواية ..

* رصيدها الفني في مزج مترابط بين الواقع الاجتماعي والواقع المادي والواقع الفني .. فالاحداث الاجتماعية رافقتها نفوس متصارعة تشابكت معها فعقدت المحتوى بدون البحث عن اي حل لاي فكر عقائدي او لاي استسلام امام ضربات الزمن والتي سجلت بالسنة الطبقة البرجوازية : قضاء الله .. وامام النقائص في اعماق هذه النفوس تجرد من اي نزاهة موضوعية وبرزت الفردية - اللامحدودة - والذاتية الضيقة النظر .

* المجتمع بترابطه الهش بين هذه الوقائع : الذاتية والنفسية والاجتماعية ينبض باكثر من قلب ويتحرك بكل الصور ويصعد فنا حين يصور باقتضاب فلا يستطيع نهما ولا يروي قلبا .. وفي منطلق (هشام والعمة رشا وامل) مثل يحتذى لهذا التصارع فلكل منطقه ومشكلته وعدم شعوره بالمسؤولية فتضيق عليهم فكرة تبادل الرأي ويتذمرون من اي حوار وكان المجتمع - قدر ثابت بتقاليد واطعمته وملابسه واوامره ونواهيته .. وليس الحياة بأبعادها - لعبة حوار غينسر

مثمرة وانما هي صور متجددة تبصر فيها عذاب اهل الفن ، وهموم اصحاب المروءات ومعاناة دعاة التجديد والتطور ولن تبقى لعبة التقاليد وتمجيد الفكر متمسكة بخناق التطور .

* فظواهر المجتمع صورته المؤلفه وهي تمعن النظر بالواقع - المادي - الاجتماعي وتتطلع الى افق الغد لعسل على تلك المظاهر تستنبت اشكالا جديدة يحصدها اطفال الغد .. فلما فحصت فيما حولها من امور وسلوك ومعاملات اصطدمت بهذا الطود من العيشية ، ثم بحثت عن (حلول) وليس عن (حل واحد) فدونت احلامها وكوابيسها وفارس غدها .. وعرفت علل هذه (الامور والسلوك والمعاملات) ، انها تشد هذا المجتمع الى المراوحة على ارض ثابتة واستدلت على وسائل الخلاص .. لكن الشفاء من هذه (المفاسد الروحية والاخلاقية والسلوكية) ليس صعبا لكنه مستحيل مستحيل .. فراحست تدقق في ثنايا التعامل الانساني (ابو امين والمعتوه و ..) .

* في رصيدها الفني اداة تاممة للمتربعين في الطبقة البرجوازية المخملية ، وادانة مع المستمسكات للمتصارعين تحت تأثير الفكر العقائدي وادانة مع التقزز (الشاب الجزائري وصاحبة الفرو ..)

اما الحكم على هذه التصرفات بمجموعها فهو الصدق بتصويرها وانه النبض المتفجر بل هو البغض والتقزز لمثل هذه الاحداث الانسانية .. ورغم ما نلمسه من حكم استطاع ان يضم لنفسه رصيدها من الفن فلا ننسى انها لم تكن بموقف القاضي تبحث عن قرار الحكم ، فمعها من الوثائق والذكريات ما يدين مجتمعات هدية للوحة - موجزة - عن دمشق خلال فترة جيليين تنتهي بعهد الوحدة .

ومن مميزات حكمها انها ركزت على دقة الوثائق المستقاة من حياتها ومشاهداتها فكشفت عن الشيطان في ارواح هؤلاء الاقربين (ما عدا امها وريمها وامل وسميرة والمعتوه وابوامين) .

كما اكدت عن نزعاتها هذا الشيطان في رغباته ونزواته وغرائزه وانفعالاته فنطقت شخصياتها بقلوبها وعلى اسطر الرواية كان حوارها ومواقفها واهدافها المتصارعة .. مما كون للروائية المزيد من الرصيد الفني في السعي نحو الاكتمال الفني .

لينا .. نموذج الفتاة المتفتحة والهادئة ، والملتزمة بخط ايدولوجي لكنها الهاربة من كل قفص وان كان زمرد القضبان .. المتمرده على كل موجة هاربة من حياة ملتصقة بنوع من الترددي، وهناك الشخصيات المتمسكة بأهداب التزمت واذا ما بدأنا بهذه التوضيحات فاننا نعثر على الخلية الاولى فسي المجتمع الا وهي اسرة لينا ولكل فرد سبيله الخلفي ، فأمها حافظت على الحداد فكان وجهها يتصلب وتطالب (دعونا من السياسة) وعفاف اختها تتحدث مع الناظر وصرها هشام يدخن التنباك الامريكي وهو (مثل حي) للانتهازية .. كزوجته عفاف التي سرقت (شمعدان ابيها الفضي) يوم دفنه ..

ويطول الحديث لو استمر عن عمته سامية ، وهي تلف سيكارتها بعدم اكتراث ، والتي تجابه ريما بكل عنف وهي تقدر جوقه النادبات وتعتقد بأن (بذور الزيتون اذا ما اصدرت صوتا ما في الوجاق فان اي حامل في الاسرة ستضع صبا ٢٢) فلها نفسية الحرباء والعقرب معا .

ومع هذه الاسرة في المدينة تتلاقى القرابة في الزبداني / رشيا شيطانة قرأت سرا حكاية الفليلة وليفة على وضعها وراحتها بطبعة قديمة .. وفي الشارع مجتمع اخر يتحرك فيه رجال الاذكار والادعية ، واما ابو امين فهو المثل الاعلى عند لينا .. وهو الذي يضم المعتوه ويحنو عليه والمجتمع المدرسي والجامعي يفرز صراعا تشتت فيه لينا مع (امل ماضي) في لقاء بحضور ريما وعشرين عضوا ..

لكن لينا لم تستجب لما التزمت به مع امل .. التي قررت ان لينا غير سالحة للعمل معهم .. فتختار الهروب ..

وعلى نحو موجز وردت اسما هذه النماذج التي كونت شخصيات الرواية فهورت ملامحهم وتركت للقارئ ان يتمم ما بدأت به المولفة .. فالتساؤل يبدو (فيم غابت ريما ذات الفكر العقائدي - الشرقي) ..

وما هي تجاربها ومحاوراتها .. المختصر الذي ورد في المجابهة مع صهرها هشام ومع عمته سامية غير كافي لمن يسود الابحار في هذه المجابهة ..

وعلى يراع المولفة انساب الزمن هادئا وهادرا ونمت شخصية لينا وتنازم الصراع في هذه البور (الاسرة والشارع ، المدرسة الثانوية والجامعة ، ولم تجد لينا زمنا تحتضن فيه فارس احلامها .. فالرياح عبر السنوات تحرف معها الوان العيون ، وتسرق من الافكار قيمها وتلوح في الحوار برجوازية الستائر والثريات وانطوائية لينا وحذرها .. موضحة ان عدم التناسق وفقدان الترابط يخلق هذا المجتمع ويكتفه ..

وانما يتفاهم على تزييف اعماله ، وخذلان اقاربه ، وبروز انانية اعضائه ، ويصل الى استعصاء ثم انحلال وانهييار روجي في كل وظائفه الفكرية والادبية والعلمية ..

فمن واقع الشخصيات عبر السنوات تتحدث الروائية عن طفولة لينا ومراهقتها وانها ملحقة بقصص شهرزاد .. وتبقى الرجولة انتهازية والشيخوخة هروب الى السماء .. وعلى الارض قهر وأحزان ..

شخصياتها اسيرة هذه الابعاد مهما اتسعت تبقى محدودة واحتمالات الخلاص من (العناء الاخلاقي) غير وارد في مجتمع لا يعترف ان العلم يفتح العقول ويجدد الروح وانه يتجاوز ازمائه بكل قدراته من اجل الابداع والانطلاق وتأكيد حقيقة الانتماء ..

وظاهرة التفكك متوفرة في هذه البور (الاسرة والشارع ..) فهي ظاهرة استنبتتها قيمة المنع .. ومنع القيمة فكان التدهور الاخلاقي بلا وزن ولا ضبط .. فكيف استطاعت الروائية ان تدفع النبض الى شرايين اهل الكهف ..؟

كان الدفع اليه مغامرة وايقظ اهلهم مقاومة ..

فقتلت (الفتاة) نفسها وانتحرت بتقاليدها .. واخذت مع اسرارها .. وبصفت عمليات (الكبت) مستبدة بها فانطورت ثم هربت .. وبرز تمرد لها حلما مرا ، كابوسا رهيبا .. حبيبا يلاحقها على فرس الوهم .. وتمردت على احلامها ايضا وهي في المحاجر باقية ..

واستسلمت الشخصيات للتجارب فنبضت بالحيوية المركزة على كل سطر سجل اريجا او عفنا ، غضبا او استفزاز مشاعر ، حقدًا او دما على وجه شباب ركلته الاحذية ..

جسدت هذه الرواية مشكلة اجتماعية خلال فترة الخمسينات ومطلع الستينات من هذا القرن .. واندفعت تروي عن كل شخصية قصتها وتخطبها من عالم الواقع

والذات والاخلاق الى عالم العلاقات
بنفسية متمردة واطلالة جلية وغربة مزقت
اوصال الذات دليلا على انهيار العلاقات
.. وهذا دليل شدة قربها من هموم
مجتمعها فتركزت هذه الهموم في ارض
الغربة ، استراليا ، لتكون عطاء ادبيا
سكب جماله في رواية لنا .. فهي وثيقة
عصرها لما تضمنت من مقاصد ونزعات .
وهي مرجع بلا اسرار او رموز .. تدعوك
الى ان تتلمى النفس من صورها ..

• حددت الزمن بأسلوب فني .. لا
كما يكتبه اهل التاريخ واليوميات .
• رسمت مواضع التحرك في بيئة
اجتماعية هي - المدينة - وبيئة ريفية
• وحركت الاصوات لتخدم اغراضها
بالكشف عن مشاعر هذه البيئة وتلك .. بلا
تزييف ولا تزمت ولا تحامل .
• كان احساسها نقيا غلبت عليه
صيغة المعاناة والخوف والانطواء فلو
غضبت .. فان غضبها لا يحمل السخط او
الحقد او التجني ..

فلديها ذاكرة تسهب وتدرج . .
ومخيلة تهيم بالصور والالوان الطبيعية
وتزخرف .. وان ارتمت بهوى الكابوس
وبفارسها فهي تحلق مع فارس احلامها
سارادة فتاة طيبة مضممة على ان تبعد
في كل سطر فكان لها ما ارادت رواية
سارت على منهج الصدق في المشاعر والوعي
بأحوال المجتمع .. فقد كتبت (بـدم
القلب .. ولم تكتب بالحبر) كما قال
جبران .. وصاغت ازمة المثقفين من
الطبقة البرجوارية والملتزمة ومحتما
الحياة والحركة واستقلالية الرأي ..

ونسقت الاحداث بترتيب زمني يتفتح وينمو
مع لنا .. فكان لها النقاء في سكب
مشاعرها في اطار فني تضمن الحياة
الاجتماعية والمادية والصراع الايديولوجي
فجاءت روايتها بلا افتعال ولا مقدمات
فأثبتت جدارة الكلمة بين يديها
واستمدت ذلك من تجاربها ومن مشكلاتها
الذاتية .. فصاصطبت ملامح الشخصيات
المادية والنفسية والاجتماعية بتحليل
غير مباشر لكل الانفعالات .

وتنوعت شخصياتها من بسيطة الى
معقدة .. ومنها الملتزمة بسرد الذكريات
لتبقى رئيسية في كل خطوات الرواية . .
ومنها ما يثبت على انتهازية ونما مع
الزمن الاغبر ..

فمن الداخل رسمت اجواء الرواية
ومن اعماق الشخصيات كشفت حقائق النفس
البشرية ونوازعها وطمعها .. فحللت

وصورت ووازنت المعادن من النفوس .
لكن الخط الايديولوجي من ريمها
الى امل .. يظل ملقيا وشاحه على آفاق
الاحداث ويبدو وكأنه متواصل الحلقات ..
لكن لنا تتمرد من جديد على جميع
- الخطوط والمشارب - لتعود الى ذاتها
منطوية متفردة صافية الاديم .. لتمثل
دور الفكر العربي بعودة الانسان العربي
الى ذاته وقيمه الاصلية ومنابت العراقة
بتعامله الانساني وابداعه الحضاري ..

• انسياح وتدهور متسارع (خلال الفترة
المحددة كما ورد)

في مجتمع تفسخت علاقاته ، فبات
غير قادر على حماية ذاته ، وغير متمكن
من حفظ وجوده امام الزمن وصراعاته ..
فكان ان رسمته الروائية مجتمعا غير
واع لمفهوم الاسهام بالحضارة ، .. او
المشاركة فيها ، او توجيهها وتحولها .
لتكون انسانية النسخ والهدف ..

صورته مجتمعا وسوقا رائجة لكل
التيارات والنزعات والنزاعات .. فاختطف
بريق الايديولوجية الشرقية .. او غاص
في بوتقة التقاليد او اضاع نفسه
بالصراع الايديولوجي ..

فمن يعمل للوطن قدسيته ومستقبله ؟
ومن يغسل العقول فندمر بايدينا
وبعقولنا ، بسابق اصرار وعنجهية وكان
- الخطر الاسرائيلي - مرسوم قدرا على
يدي المستوطنين .. ؟

المجتمع انساح وتدهور ..
انقسم وتمزق ..

فمنذ ان رصدت الروائية هذا الانحدار
ابتدأته من الصفحات الاولى بالاسرة
وأبانت انقسامها ، في المدينة والريف
واوضحت مشكلات الارصفة ومسالك روادها
وباعتها وصعاليكها .. فالشارع مجتمع
ذو قيم وحدود .. ولم تنس المجتمع (المدرسي
والجامعي) وقضايا المتأزمة بين
استاذ يشد الطالبات الى ارائه
وطالبات تشدهن الى مآرب جديدة .. وفي
الجامعة تبدو صورة التمزق الاجتماعي
على دقة والوان صارخة ..

• وبشبات اقتحمت هذه - العلاقات
الاجتماعية المتردية ..

وتحدث دون خشية او حذر محور هذه
العلاقات فالظلم الاجتماعي لا يرحل عن
اكتاف الابرياء .. الكبير يتحكم ويستعلي
والمساح الطويلة بأيدي نسوة غريبات
يندبن فرحيل الميت لا يتعادل مع المآثور
الانتهازي (من يتزوج امي يصير عمي)

الذي الفى حرية الانسان ووجوده ومحا
الوانه .. فكيف لا ينساح هذا المجتمع
الى مستنقعات الافناء الذاتي .. بيديه
وبمشاعر غير مسؤولة ..

من الهزال الى المحال :

* راقبت مجريات الاحداث فسجلتها في
ذاكرتها فجمعت ووعت وقدرت ..
* داهمت المألوف من مظاهر الحياة
.. فترك في اعماقها تناقضا واستغرابا
فحفظت وتناست .. ولكنها ما نسيت وما
تشتت ..

* استبقت الوقائع بحدس شفاف
فتألمت وعاشت كوابيسها ، فتأرهرست
وتوجعت وانطوت ..

دفعتها الوقائع الى التوق المتعنت
من اجل معرفة الحقيقة ، والى اشواق
تاقت .. وعلى الامال الهاربة من العيون
غفت ..

* المتداول من الادوات في هذه
البيئات وسيلة للنفي تراكمت وعلسى
الاثبات انتقضت وتآزمت .

فكانت عملية متراخية الاوصال ..
* فراحت الروائية تتلمس المجردات
ولا تغيب عنها المحسوسات .. تسيقظ على
حروفها تخييلات وكوابيس مصورة وفيض
هراء الصورة والحدث والحوار ..

* لم تعثر على الشط المتوازن تجاه
تشابك العادات المستحكمة .. ولعل
التعويذة تنوس من زمن الهزال الزمن
المحال ..

* والمحرمات فراغ من قلق وارتماء
في اغتراب التيه المتمكن في الاشياء
الناطقة ببواطنها .. فابحث في هذه
الرواية عن مناخ هو عصارة - دم الانسان
- وقد كان اضاءة على لوح مستنير في
ذاكرة مجتمع ينسى لحظة عطشة ..

* لهذا كله اوبعض من جزء :
أبحر وجدان الروائية وتوثب
يراعها وهي ترجع الزمن روية مرة وخطفا
مرة فتماسك التنظير الفني فيما يمكن
ان يكون على سعة في الطول انه الوجود
المتعسر .. والمنشود المتعسر ..

محور وهدف :

حاولت الروائية ان تستجمع فسي

المجريات الذهنية كل التفصيلات فحقت
ذلك بالصور المستمدة من الواقع ، او
المأخوذة من الاخلاق المتفسخة ، او من
الولوج في الذات وحوارها ، او من
الذاكرة الخصة التي احتفظت بالجزئيات
.. او من الكابوس - الحلم ملجأ وملذا .

* وقد رأت الحاضر متفسخا بعلاقاته
في المدينة وفي ما روته رشا ابنة
الريف من حكايا مستقاة من قصص الفليلة
ولية - نسخة غير مشذبة وغير مهذبة ..
وكانت البطلة لينا منفردة بذاتها

لخصت محور الرواية ص / ٢٥٠ / / ٢٥١ /
(كانت طفولتها ميتة ، بل ربما ضائعة
كانت حياتها منتظمة بالرغم من التمرد
كانت تريد ان تتحلل من كل شيء ..
ان تنسى كلما تعلمته عن الفضيلة
والرذيلة .

ومهما فعلت .. فقد ظلت كالراهب
في صميمها جدية ، مملة ، ولها فلسفتها
الاخلاقية) .

* وانه الحاضر بوقائه الاجتماعية
النفسية المتردي في علاقاته .

ويبقى اصحاب المواهب والمشاعر
يتطلعون الى غد متطور متجدد وهم يلامسون
بقلوبهم عذابهم ويكابدون بمشاعرهم
وحدهم هزال الفكر والروح .. ويرون ان
استمرار التضارع بين قيود التقاليد
والانطلاق نحو عالم القرن العشرين يحتاج
الى كثير من محاسبة الذات ومن دراسة
واعية للتخبط الذي يعيشه المجتمع ..

* والهدف يمكن ان يقرأ في ص ٢٩٢ .
(كيف يمكن ان يبني المرء وطنا قبل ان
تبني انسانة ؟)

رواية لينا ..

* تجرح .. مكان الاسرار .. وبصدق
الرويا تداريك فتجرحك ثانية .. وتصاب
بالادمان .. تخفيفا ولوعة ..

* تأسف النفس ان تعثر على مشهد
يوكد لك ان دمشق مستعصية على التطور
(كما قال منظر فرنسي) .. ولا تقتنع
بهذا التأكيد .. لكن الرواية شاهد عدل
على فترة من الخمسينات انتهاء بعهد
الوحدة بين سورية ومصر .

* تندم .. على مرور ربع قرن من
حياة اقدم مدينة في العالم وهي متجمدة
لا تسهم في حركة التقنية والابداع الحضاري
الا بمظاهر زلثفة ..

تشارك ابطال الرواية بابعادهم
العاطفية . . بلمساتهم الانسانية ،
بمضريتهم وقد بلغت حدود الشمس وتقطر
دما . .

نتمنى مع ليينا ان قد خطت
وانهت انتشار العفن من المستنقع . .
فتثور معها وتسخط على ما عثرت وتعثرت
وتعردت . . فأنت واحد من هذا المجموع
في حالتي التفرد والتعصب المشترك . .
لكن هذا الفرد تائه من اجل انتمائه
لهذا المجتمع . . والمجتمع يشعرك بوجوده
هو بترادفاعضائه . . وتماسك تقاليده
واعرافه . . واما الانسان فهو بحالته
الانزواء والانطواء والتمرد على الذات

اولا . . وعلى المجتمع ثانيا . . مما يضطر
الانسان الى قراءة جديدة للرواية مثني
وثلاث فتعود اليك الجراح والاسف والندم
بفضبة مفرية . . رغم الهدوء الظاهر
بالالوان التي رسمتها ريشة الفنان الكبير
الاستاذ ناظم الجفري فكانت احدى
الزوايا الشعبية في دمشق القديمة . .
ودمشق منذ السبعينات والثمانينات
رسمت وجودها التقدمي بتطلعاتها
الحضارية وبمواقف رجالاتها وبمصموم
اجيالها . .

محمد زهير الباشا

هكذا تبدأ كوميديا دانتي
الالهية . وبوسع الانسان ، ذلك
الحاج الابدي ، ان يقول ذلك اليزم
ايضا ، لانه صادف ، على طريق
تطوره ، ما يفزعه . . صادف شبحه
الذي ظهر له بغتة من العتمة .

منذ مدة ، بعد ان نشرت
مقاله حول التاريخ المفروق في
القدم للحياة على كوكبنا ، تلقيت
رسالة من احد القراء ، لقد قلبت
تصوره عن الزمن ، فألقى علي هذا
السؤال : هل كنت موجودا وقتها ،
ايها الظريف ؟ ..

ايه انعم ، فكرت متنهدا
وأنا أقرأ رسالته ، لقد كنت
موجودا ، ربما مختلفا قليلا ،
وكذلك أنت ، يا صديقي ، بوجه قد
لا تتعرفه اليوم ، انه ماض يمكن ان
بقرا في قلب الصخور ، وفي
مقدور الفيزيائيين الذين يدرسون
النشاط الاشعاعي ان يقيسوا مدته ،
الحياة مرتبطة بالتاريخ ، وحيث
الاستمرارية الوراثية يعود مرورا
بالرئيسات ، الطيور والاسماك الى
برك ماء يغلي خلفها انحسار المد
على وجه كوكب لم يكن بعد قد
تزيا بالاشجار والاعشاب الحية .
هذا التاريخ مدون حتى في عظامنا
وملح دمائنا مصدره بحر يضيغ
في ليل الازمنة ، هكذا يواصل
الماضي حياته بيننا .

لم احس مراسلي بهذا الفرع
لان كثيرين ممن يقبلون بنظرية
التطور كثيرا ما يهتمون بارتكاب
ما يمكن ان يدعى "غلطة الحيوان"
عندما ننظر الى الهيكل العظمي
لاجدادنا ، يضاعف الخوف المتنامي
الذي يشيره فينا التقدم العلمي
من قلقنا ، فنقرأ في الجبهة
الواطئة والاسلحة الفظة للانسان
البدائي قسوة متعمدة ووحشية .

مُسْتَقْبَلُ الْبَشَرِيَّةِ

لورن إيسلي

البروفيسور ل . ايسلي عالم
انثروبولوجي لامع ، وقد القى
الكلمة التي نشرها ملخصا
امينا لها عام ١٩٦١ ، عندما
نال جائزة مؤسسة بيار لوكونت
دونوي الامريكية ، وهذه الجائزة
تمنح كل عامين لمؤلف " عمل
استثنائي يشدد على الحياة الروحية
لعصرنا وعلى الدفاع عن الكرامة
الانسانية " .

في عصر الشك والقلق الذي
نعيش فيه ، يعاين عالم انثروبولوجي
قدير التاريخ الطويل والمؤلم
لانسان ، ويعلن ايمانه بمصيرنا .

في منتصف سياق الحياة ،
أضعت الطريق الحق ،
وتتهد في غابة مظلمة .

نحن واقفون على نقطة معطاة من سلم الزمن الجيولوجي ، ونعلن ، كما قال مؤخرًا كاتسب موهوب ، ان الانسان الاحفور ليس مد فونا في كهف كلسي انما في قلوبنا . ويضيف هذا الكاتب انه اذا كان الانسان كائنا استثنائيا اذا كانت روحه قد خلقت خصيصا واذا كان مستقبله يتحدد بطيبته ، نبه وحكمته المتأصلة فيه ،

لست هنا بصدد مناقشة ما يكون الطبيعة الارضية للانسان ؛ سألت الانتباه فقط الى انه ابتداءً من اللحظة التي نتساءل فيها عن طبيعتنا (لاننا كائنات ذكية ، حساسة ، وقادرون على دراسة انفسنا) تبدأ هـذـه الطبيعة بالتطور على نحو غير محسوس * * ان التاريخ الطبيعي للانسان كما يقول امرسون ، لم يكتب ابدا ، لكن كل ما يقال عن الانسان يتم تجاوره على نحو دائم لقد احتفظ جسدنا ، وليس لأي عالم ان ينكر ذلك ، من تركيب تشريحي قديم يعود الى الازمنة البدائية ، على عناصر تلاءمت بصورة حاذقة مع غايات جديدة ، ان تعقيدات الحياة وقدراتها المنظمة التي لم تفسر بعد مذهلة لم أننا فكرنا في ان معنا يتم بواسطة عظيمات يعود اصلها الى ما كان يشكل فكنا الزاحفي ذات يوم ، وبالمثل ، ليس لاي عالم ان ينكر ان المخ البشري هو ثمرة تطور طويل عومل خلاله بقسوة شديدة ويقوم الخطأ على الاعتقاد بأن الزمن يتوقف ، على التفكير بأنه اذا اتكل الانسان على الطبيعة والنبيل والحكمة فهو ضائع لامحالة فاذا نمت فينا حقا هذه المرحلة الضئيلة من رحلة الحج الانسانية

ان لم يكن الطيبة ، النبيل والحكمة ؟ ..

لئن كان الانسان هو دكتور جيكل الطيب ، فهو كذلك مسترهايد الشرير . كان الشراب السحري الذي كان يتعاطاه بطل قصة ستيفنسون يفصل بين العنصريين المتناوئين للشخصية الانسانية ويمد مستر هايد بقدرة مطلقة ، من الممكن ايضا الفصل بين جيكل وهايد بواسطة علاجات عصرنا الايديولوجية الرهيبة ، لقد شهدنا ذلك في المانيا الوطنية - الاشتراكية .

لكن ثم حدث هام اخر ايضا بوسعنا ان نشهده : هذا النبيل الذي طالما احتقر ، هذه الطيبة التي يسخر منها قادا البشر الى تحمل اسوأ التعذيبات والى موت شنيع من اجل ان تبقى الطيبة ، من اجل ان يحترم النبيل ومن اجل ان تكور بصورة عن انفسنا مدونة بحروف مر، نار على ظلماتنا الجوانية اهمية اكبر من اهمية الحياة نفسها .

ان جريان الزمن ظاهرة خلاقة غنية بالوعود والامكانيات . فالحياة تثبت في المادة ضربا من مستقبل لا يمكن التنبؤ فيه ، وفي هذا تكمن معجزتنا جميعا ، نحن الذين خرجوا من ليل الازمنة ، نحن نحتمل جيلنا لاننا لا ننتهي الى الماضي فحسب بل الى المستقبل ايضا . لهذا (واعتبر هذا الموقف بندا من بنود معتقدي العلمي) ، لا اقبل على نفسي ان اسجل الانسان في الاطار المطلق للماضي ، حتى وان كان هذا الماضي يحوي روائع وعظمة مثلما يحوي عارا .

الانسان يحتوي دوما الى المستقبل بصورة جزئية . انه يمتلك القدرة على تجاوز هـذـه الطبيعة التي يعرفها . منسذ

يتحققان في قلوبنا .

لست اقبل على نفسي

يتملكني الفرع لاننا وجدنا انفسنا
في منتصف طريقنا ، امام انفسنا
في غابة مظلمة ، ارفض الاقرار
بان الرحلة انتهت ، او بان الحيوان
هو الذي سينتصر في النهاية
اعتقد اننا يجب ان ننطلق الى
الامام ، حتى لو كنا نرى قننا
الليل الذي لا وجه له بين الاوراق
المتساقطة تحت شمس اخيرة قارسة
لقد خرجنا من ليل اشد عمقا
بكثير ، ليل حضرنا لهذه الرحلة ،
شكل ارواحنا لهذه الغاية واعطانا
عصا الحاج وجعبة سفره .

اذا كان صحيا اننا شبح

امام بابنا ، فقد وصلنا الى
اشد مفارق الطرق التي تتردد
امامنا البشر في تطويرهم هولاء ،
ومح ذلك ، هل اننا ان ننتظر شيئا
اخر ؟ لقد وجدت قبلنا ارواح
متوحدة على عتبة هذا الباب نفسه
وهذا الشبح نفسه تراجع من امامهم
الى الذين يبحثون عن حلول

نهائية ، ليس لي ان اقدم الا هذه
المقولة التي قرأتها منذ ايام ،
وانا احقق سيرة حياة احد كويكرز
القرن الثامن عشر ، جون وولمان .
لقد تمتم وهو على فراش الموت :
اومن بالله ، عن الحياة والموت
لا اعرف شيئا "

اما انا فاومن بالله كلما
مات انسان ليؤدي شهادة لحياة
آتية . . اومن بالله كلما امننت
بان الانسان وضع ، من حيث لا يدري
اسر تكهنات رائعة للتطور الاتي
الذي لا يستطيع الا قلة من البشر
لانهم نادرون جدا ، ان يستشفوا
قدرته وامكانياته .

لقد قيل عني بانني ساذج
لاني لا زلت متمسكا برجائي فسي
الانسان . لن اجيب الا بانه ، في

زمان بعيد ، انطلقت مخلوقات
مزودة بعصي وحجارة في الرحلة
التي قادتها اليها ، ولو لم تكن
لديها شرارة صغيرة من الشرف
والمحبة ، مهما كانت ضآلتها ، لما
كنا هنا اليوم ، فلنلتقط من جديد
هذه الشرارة بدلا من ان نجمع
الاسلحة التي حلت اليوم محل
حجارة اجدادنا ، ولننطلق الى
الامام مثل المسيحي في " رحلة
الحاج " لجون بانيان .

لو كنا نعرف تأويلها بصورة
صحيحة ، لكان التقليد الكبير
للرحلة نحو مدينة الله التي
نصادفها عند كل خطوة في آديننا
كله يشكل لوحة فسيفاء اكثر غنى
وتنوعا فيما لو نظرنا اليها
ضمن اطار التاريخ البديع لتسيار
الحياة العظيم الذي يجري ويتفرع
ويتلوي في اشكال قبيحة حيننا ،
وجميلة حيننا اخر ، لكنها دوما
متنوعة ، ان توقا واحدا منه
القلب ، كما كتب بانيان ، من
شأنه ان يرتفع بالانسان الى الله ،
الاف من البشر امثاله سيتكالبون
عليه لمنعه ، وستذهب جهوده ادراج
الرياح ، لكن في غياب هذا
التوق ، سيكون كل شيء مثل المطر
على الحجر ، اذا لم تكن نؤمن
بهذه الرحلة ، فهذا يكافي قولنا
اليوم ان الرحلة انتهت ، سيلحق
بنا الشبح الذي يتبعنا ويصبح
شبحنا الخاص ، هكذا اذن ، مع
انني من انصار التطور ومنشغل
بالماضي ، فأنا اومن بالمستقبل ،
حتى في المستحاثات المكسوة
بالكلس التي نتوهم انها تهددنا
بوسعنا ان نقرأ المستقبل بقدر ما
نقرأ الماضي . ان الايمان هو الذي
يسمح للرحلة ان تستمر . هذا
الايمان وهذه الرحلة ليسا
خارجين عن انفسنا ، انهما

الظلال المخيفة لفجر الانسان ، لا شك في ان المخلوق البدائي الذي بدأ مترددا يتهجي الكلمات التي تشير الى الرأفة والمحبة ، اثار ، هو ايضا ، قهقهات صاخبة حول نار مشتعلة ، ومع ذلك فهناك من استمع لأن هاتان الكلمتان وصلتتا الينا .

* * منذ قرن كان ينظر الى الانسان اولا كملاحظ بسيط ، ثم بعد دارون ، كفصين بسيط للتطور ، الا انه الان يبدأ في ادراك ان الساق الرئيسية لشجرة الحياة الارضية قربته ، الحياة لا تخضع في تمايزها للمصادفة ، وفي كل

اتجاه ، لكنها تسمح لنا برواية اتجاه مطلق للسير نحو قيم وعي متنام ، و ، على هذا المحسوس الاساسي ، يكون الانسان هو الحشد الاكثر تقدما الذي نعرفه .

منذ غاليلي ، كان من الممكن ان يبدو أن الانسان فقد كل موقع متميز في الكون . ها هو ذا ، تحت التأثير المتزايد للقوى المتضامنة للاختراع والمشاركة ، يعاود تبوأ الصدارة : ليس بعد الان في الثبات ، لكن في الحركة ، ليس بوصفه مركزا ، لكن على شكل سهم العالم المتنامي .

بيتر تيار دوشاردان - رؤيا الماضي